وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة يحيى فارس المدية

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

مطبوعة محاضرات مقياس

العلاقات بين الغرب الإسلامي مع العالم المسيحي

للسنة الثانية ماستر تخصص تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط

إعداد الأستاذ:

د.وجدي خلف الله

الموسم الجامعي:

1444-1445هـ/2023-2024م

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

" وأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيْحُكُمْ واَصْبِرُواْ إِنَ اللَّهَ مَعَ الصَابِرِين وَلاَ تَكُونُواْ كَالذِينَ خَرَجُواْ مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَراً وَ رِئَاءَ النَاسِ وَيَصُدُونَ عَنْ سَبِيْلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيْطٌ" .

الآية 46 – 47 من سورة الأنفال .

دفعتني مجموعة من الأسباب لوضع هذه المطبوعة البيداغوجية أهمها: الصعوبة التي يجدها الطلبة في فهم محاور هذا المقياس المهم بسبب كثرة الأحداث والشخصيات الفاعلة فيها خاصة الأجنبية منها وعدم التفريق بينها، وهو ما لمسته عند الطلبة خلال إعدادهم لبحوثهم. بالإضافة الى قلة المادة العلمية، وما وجد منها فهو بلغات أجنبية متعددة(اسبانية، فرنسية، ايطالية..الخ)، ومن أجل تذليل تلك الصعوبات للطلبة وحتى الباحثين المهتمين بتاريخ العلاقات بين العالمين (الاسلامي والمسيحي)خلال العصر الوسيط وضعت هذه المطبوعة البيداغوجية.

وتضمنت المطبوعة مجموعة من المحاور تطرقت فيها الى علاقة المسلمين بالفرنجة، وإلى الغزو النورماني(الفيكنغ) للأندلس وما نتج عن ذلك الغزو. وضمت المحاور كذلك علاقة المسلمين بالممالك النصرانية الاسبانية سواء خلال عصر الأمويين أو عصر الطوائف أو عصر المرابطين والموحدين ختاما ببني الأحمر(مملكة غرناطة). ولأن العلاقة بين الطرفين لم تكن سياسية وعسكرية فقط، فقد خصصت محورا للعلاقات الحضارية، مبينا فيه أثر الحضارة الاسلامية على الممالك الاسبانية وعلى أوربا الغربية عامة. وتضمنت المطبوعة كذلك محاورا تخص العلاقات بين المغرب الاسلامي والغرب المسيحي، وحتى نخرج عن المألوف ولا تقتصر الدراسة عن التاريخ السياسي والعسكري، فقد تطرقت في محورٍ الى العلاقات التجارية بين العالمين، متخذا من الجمهوريات الايطالية نموذجا. وضمت المطبوعة كذلك مجموعة من الملاحق والخرائط ذات الصلة بمحاور المقياس.

واعتمدت خلال انجاز هذه المحاور على مجموعة من المصادر والمراجع باللغة العربية والمعربة، وأخرى بلغات أجنبية، وذلك من أجل لم شتات محاور هذا المقياس، وقد وضعت قائمة هذه المصادر والمراجع في اخر الكتاب حتى يتمكن الطلبة والباحثون من الاطلاع عليها، وتوظيفها في بحوثهم ودراساتهم.

وفي الأخير أتمنى أن أكون قد وفقت في انجاز هذا العمل المتواضع، وأن يكون إضافة للمكتبة الجزائرية، ويساهم في إفادة الطلبة والباحثين في تاريخ العلاقات بين الغرب الاسلامي والعالم المسيحي خلال العصور الوسطى. والله من وراء القصد إنه نعم المولى ونعم النصير.

المحور الأول: علاقة المسلمين بالفرنجة

أولا: الفتح الاسلامي لبلاد الغال

1-السمح بن مالك الخَولاَني وبداية الفتوحات الاسلامية في بلاد الغال:

بعد أن أتم طارق بن زياد وموسى بن نصير فتح شبه الجزيرة الأيبيرية، فكر هذا الأخير في عبور جبال البرانس (Pyrénées)[1] ومباشرة حركة الفتوح الاسلامية في بلاد الغال(فرنسا حاليا)، لكن استدعاءه من طرف الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك(105-125هـ/724-743م) حال دون تنفيذ مشروعه هذا. ولما تولى السمح بن مالك الخَولاَني(100-102هـ\ 719-721م) ولاية الأندلس وهو واحد من أشهر القادة الفاتحين، قرر عبور جبال البرانس وفتح الأراضي الواقعة وراءها.

استهل السمح بن مالك مشروعه هذا بفتح اقليم سبتمانيا[2] (Septimanie)، وجعل من مدينة ناربون(Narbonne) – أربونة في المصادر العربية-قاعدة لعملياته العسكرية في بلاد الغال، ثم توجه نحو مدينة تولوز(Toulouse)[3]- طولوشة في المصادر العربية – ولما وصلها خرج اليه دوقها (الدوق تابع للملك لكنه أقوى منه سلطة وجاها وقوة)، فاقتتل الجيشان في معركة حامية الوطيس استشهد فيها السمح بن مالك، وكان ذلك في سنة 102هـ\ 721م. ولم يستطع الجيش الاسلامي المنهزم

1- جبال البرتات أو البرت أو البرنية هكذا وردت في الروايات العربية، وهي الجبال المعروفة حاليا بجبال البرانس، وهي عبارة عن سلسلة جبلية تمتد من برشلونة شرقا إلى مدينة بيونة غربا، و هي الخط الفاصل بين فرنسا واسبانيا. (انظر: البكري (أبو عبد الله بن عبد العزيز): المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م، ص 85).

2- اقليم يقع جنوب شرق فرنسا وهو يضم سبع مدن: نيم(Nîmes)، ناربون، أجد(Agde)، بيزيه(Beziers)، لوديف(Lodve)، قرقشونة(Carcassonne)، ماجلون(Maguelone). كانت مدينة ناربون عاصمة له، كما يعرف بإقليم أو منطقة اللانجدوك.(انظر: منى حسن احمد محمود، قاعدة نربونة ودورها في الجهاد ضد الفرنجة والتوسع في أوربا، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 1999، ص 9).

3- مدينة قديمة بنيت في عهد الرومان، وبعد أن استقر القوط الغربيون بتلك المنطقة اتخذوا تولوز عاصمة لهم، ثم أصبحت عاصمة للإقليم الأكيتاني(أكيتانيا) الذي ظل مستقلا عن الحكم الفرنجي حتى سنة 1270م.(انظر: شكيب أرسلان، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط، دار الكتب العلمية، لبنان، ص13).

العودة الى الأندلس لولا براعة وحنكة القائد الاسلامي الشهير عبد الرحمان الغافقي(110-114هـ\ 728-732م)[1].

2- عَنبسة بن سُحيم الكلبي يصل بالمسلمين الى قلب أوربا:

لم يستمر عبد الرحمان الغافقي في الولاية إلا أشهرا قليلة، ولم يمض الكثير حتى استأنف خليفته عَنبسة بن سُحيم الكَلبي (103-107هـ| 721-725م)حركة الفتح الاسلامي في بلاد الغال .وبعد أن وطد الأمور الداخلية في الأندلس، استهل عنبسة نشاطه بفتح مدينة قرقشونة، ثم سار بعد ذلك اتجاه مدينة نيم ففتحها، ثم توغل شمالا حتى وصل مدينة سانس(Sens) القريبة من مدينة باريس، فحاصرها لكنه لم يستطع دخولها بسبب بسالة أسقفها ايبون(Ebbon). وبعد ذلك رأى عنبسة أنه توغل بعيدا في بلاد الغال وخاف أن تنقطع عنه المؤن والامدادات، كما وصلته أخبار مفادها تجدد الصراع بين العرب والبربر في الأندلس، فقرر العودة بعدما أصبح قاب قوسين أو أدنى من نهر السين(Seine).

وخلال عودته اصطدم عنبسة مع أحد الجيوش الفرنجية المتربصة به في معركة كبيرة لقي على اثرها مصرعه، وكان ذلك في شعبان 107هـ/725م، فواصل قائده عُذرة بن عبد الله الفهري (107-110هـ\725-728م) المسير الى مدينة أربونة[2]. ويرى بعض المؤرخين أن حملة عنبسة هذه لم تكن إلا حملة استطلاعية، ولم تكن من أجل الاستقرار، والدليل على ذلك أن عنبسة لم يضع الحاميات في

1- ابن عذاري (أحمد بن محمد المراكشي): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، لبنان، ط3، 1983م، ج3، ص 26 ؛ عبد الله عنان، الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 4، 1997م، ص81.

2- المقري (أحمد بن محمد): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب ، حققه إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988م، ج1، ص 235؛ منى حسن احمد محمود، المرجع السابق، ص 21-26.

المناطق التي فتحها، فقد أراد من خلال ذلك استطلاع البلاد ومعرفة أحوالها، ومهما يكن فقد كان لعنبسة الشرف والفخر بين الفاتحين حين وصل براية الاسلام إلى قلب أوربا(باريس)[1].

3- معركة بلاط الشهداء وأثرها على التوسع الاسلامي في بلاد الغال:

وبعد وفاة عنبسة خلفه عُذرة بن عبد الله، وفي عهده حدثت مواجهات مع الفرنجة لكنها لم تكن أعمال عسكرية منظمة يمكن إلحاقها بالفتوحات الاسلامية في بلاد الغال، وتزعم هذه الأعمال العسكرية المسلمون الذين استقروا في سبتمانيا. وبعد وفاة عذرة في ربيع الأول 110هـ\ جويلية 728م، خلفه القائد الشهير والوالي السابق عبد الرحمان الغافقي، الذي وصفه الحميدي بالصلاح والسيرة الحميدة والعدل وحبه الشديد للجهاد في سبيل الله[2]. أما المصادر الأجنبية فتقول بأنه رجل نشيط عنيف وقاسي لا يبالي في أن ينزل بالنصارى أقسى المظالم وأشد أنواع الاضطهاد والتخريب والقسوة[3].

وفي أوائل سنة 114هـ\732م، عبر عبد الرحمان الغافقي جبال البرانس في جيش قوامه سبعين ألف مقاتل معظمهم من البربر، وفي هذه المرة قرر عبد الرحمان الغافقي أن لا يسلك الطريق الذي اعتاد القادة المسلمون السير معه، بل سلك طريقا أخر يقع بين الغابات والجبال للوصول الى اكيتانيا (Aquitaine[4]). استهل الغافقي حملته هذه بفتح مدينة آرل (Arelatum)، ثم سار نحو مدينة بوردو(Bordeaux) أكبر مدن اقليم اكيتانيا، وما إن وصلها حتى فر حاكمها، فدخلها المسلمون وغنموا فيها الكثير حتى امتلأت أيديهم. وبعد ذلك توجه الجيش الاسلامي نحو مدينة تور(

1- حسين مؤنس، فجر الأندلس، الدار السعودية للنشر والتوزيع، السعودية، جدة، ط2، 1985م، ص 248.

2-الحميدي(محمد بن أبي نصر): جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966م، ص 274.

3 - حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 262.

4 - انقسمت غاليا بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية في سنة 476م، إلى العديد من الكيانات السياسية أو الممالك أهمها: مملكة برجنديا بالجنوب الشرقي، ومملكة الفرنجة بالشمال، وإلى الجنوب الغربي نجد دوقية أكيتانيا، وعاصمتها بوردو وتقع على مصب نهر الجارون. (انظر: The New Cambridge Medieval History, Cambridge,2008, Vol.1, p.193).

Tour)أشهر وأكبر المدن الأكيتانية فدخلها وخرب كنيستها. وما ان علم أودو(Odon)دوق أكيتانيا بتوسعات المسلمين هذه حتى أسرع في طلب العون من ملك الفرنجة[1] (Francs) شارل مارتل(المطرقة)(714- 741م))– قارلة في المصادر العربية –الذي كان معه في خصومة شديدة. وفور تلقيه هذا الطلب رحب الملك الفرنسي بذلك كثيرا نظرا لما فيه من فائدة على مملكته (ضمان خضوع اقليم اكيتانيا له واستغلال موارده المادية والبشرية لوقف زحف المسلمين شمالا). وبتصالحهما توحدت القوى النصرانية، وأصبحت على أهبة الاستعداد لمواجهة الجيش الاسلامي الذي يقوده الغافقي[2].

إن معلوماتنا حول معركة بلاط الشهداء في المصادر العربية قليلة جدا ولا تف بالغرض[3]، وهو ما يجعل الباحث أمام حتمية البحث عنها في المصادر الأجنبية، وحتى هذه الأخيرة لا تضبط المكان الصحيح الذي دارت فيه المعركة، حيث تذكر فقط أنها وقعت بين مدينة تور وبواتيه(Poitiers). ومما جاء فيها حول تلك المعركة: أن الجيش الاسلامي والفرنجي تقابلا في 13أكتوبر 732م\ اواخر شعبان 114هـ، في معركة كبيرة استمرت لأيام متتالية حيث صمد الجيش الاسلامي في الأيام الأولى وأبلى البلاء الحسن، لكن فرقة من فرسان الفرنجة استطاعت اختراقه وشتت خطوطه، وعندما أراد قائده عبد الرحمان اعادة تنظيمه أصابه سهم أرداه قتيلا، وهو ما زاد من متاعب الجيش الاسلامي

[1] – الفرنجة من الشعوب الجرمانية الوافدة من شبه الجزيرة الاسكندينافية، كان استقرارهم في البداية عند مصب نهر الراين، وعنده انقسموا إلى قسمين فرنجة الريبوير سكنوا وراء نهر الراين، وفرنجة بحريون (الساليون) استقروا عند مصب هذا النهر، وفي سنة 486م، تمكن كلوفيس ملك الفرنجة البحريون من دخول غاليا (فرنسا) بعدما قضى على قائد آخر حامية رومانية هناك وهو سياجريوس. وقد أخذت غاليا بعد استقرارهم بها اسمهم Francs أو فرنسا. (انظر: سعيد عبد الفتاح عاشور ، تاريخ أوربا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، 1976 م، ص 58).

2 – حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 262-268؛ منى حسن احمد محمود، المرجع السابق، ص 28-29.

3 – للاطلاع على ذلك.(انظر: ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص 38؛ الحميدي، المصدر السابق، ص274؛ المقري، المصدر السابق، ج1، ص 235).

وجعله يتكبد خسائر كبيرة، وبشق الأنفس وصل من بقي فيه حيا الى الجنوب (أربونة)، وكان ذلك في 20أكتوبر732م\ أوائل رمضان 114هـ[1].

وبالرغم من الهزيمة القاسية التي مني بها المسلمون في تلك المعركة، واستشهاد خيرة الرجال فيها بما فيهم عبد الرحمان الغافقي حتى سميت بمعركة ببلاط الشهداء، وبالرغم من أنها أوقفت تقدم حركة الفتوحات الاسلامية في أوربا " لو انتصروا فيها لسادوا أوربا". الا أن ذلك لم يمنعهم من تجميع قواهم مرة أخرى ومواصلة حركة الفتوحات، فعندما تولى عبد الملك بن قَطن الفهري (114-116هـ\732-734م) الولاية، كان أول عمل قام به هو اعادة تحصين المعاقل والحصون التي لازلت في أيدي المسلمين في اقليم اكيتانيا، كما تذكر الروايات المسيحية أن دوق مرسيليا تحالف مع عبد الملك بن قطن نكاية في أودو والملك الفرنسي شارل مارتل، وفي هذه الفترة كذلك استولى يوسف حاكم مدينة اربونة على آرل وأفينيون. ولما اطمأن عبد الملك بن قطن على النشاط العسكري الذي يقوم به حاكم أربونة انشغل هو بإمارات جبال البرانس ليخضع أهلها[2].

وفي عهد خليفته عقبة بن الحجاج السَلولي(116-123هـ\ 734-741م) ، واصل المسلمون توسعاتهم في المدن الكبرى حينما فتحوا بورجونيا (Bourgogne)، و اعادوا الاستيلاء على مدينة ليون، وكانت الحرب سجالا بينهم وبين الفرنجة في تلك الفترة. ومع استفحال أمر العصبية القبلية في الأندلس وانشغال المسلمين بها ووفاة خيرة الرجال فيها، أخذت كبرى المدن كنيم وماجلون تتهاوى، ثم جاء الدور على مدينة أربونة قاعدة المسلمين في بلاد الغال، فقد سار اليها الملك الفرنسي بيبين الثاني(القصير)(pépin)(741- 768م) في سنة 133هـ\752م، وحاصرها لأيام متتالية، وبالرغم من فشل حملته تلك، إلا أن انقطاع المدد عليها في السنوات اللاحقة، واعتمادها على نفسها

1- لمزيد من المعلومات حول ذلك.(انظر: شكيب أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص93-102؛ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 274).

2- شكيب أرسلان، تاريخ غزوات العرب، ص 103؛ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 276-279.

في مواجهة الخطر الفرنجي عجل بسقوطها، وكان ذلك في سنة 141هـ\ 759م. وبذلك فقد المسلمون أخر معقل لهم ببلاد الغال لينتقل صراعهم مع الفرنجة الى الأندلس[1].

ثانيا: انتقال الصراع الاسلامي الفرنجي الى الاندلس ونتائجه

في سنة 138هـ\755م، دخل عبد الرحمان بن معاوية(الداخل)(138-172هـ\755-788م) الأندلس وأعلن قيام الدولة الأموية التي استمرت حتى سنة 422هـ\1031م، وكرد فعل على ذلك فقد عارض بعض الولاة والأمراء للثغر الأعلى تولي عبد الرحمان حكـم الأندلس، وعملوا على قتله أو خلعه من منصبه، وذلك من أجل تحقيق أغراضهم السياسية، وما ذكى هذه الحركة هو انشغال عبد الرحمن الداخل بالثورات في الجنوب الأندلسي. ففي سنة 157هـ – 774م، ثار والي برشلونة (Barcelona)[2]المسمى" سليمان بن اليقظان الكلبي " – ابن العربي في الروايات الأجنبية- والحسين بن يحي الأنصاري والي سرقسطة[3](Saragossa)، ولما علم بهما عبد الرحمن الداخل خاف سليمان بن اليقظان على نفسه واستنجد بملك الفرنجة شارلمان(Charlemagne) (768-814م). وفي ربيع 160هـ/777م، سار سليمان هذا للقاء شارلمان، واقترح عليه غزو الولايات الأندلسية

1 – منى حسن احمد محمود، المرجع السابق، ص 35 وما بعدها من الصفحات؛ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 280-290؛ عبد الله عنان، الأندلس من الفتح الى بداية عهد الناصر ، ص 116، 137.

2- مدينة بأقصى الشمال الشرقي لشبه الجزيرة الأيبيرية على ساحل البحر المتوسط، اشتهرت برواج تجارتها وتنوع صناعاتها. تمتد من جبال البرانس شمالا إلى بلنسية جنوبا، ومن سرقسطة غربا إلى البحر المتوسط شرقا. ويرى بعض المؤرخين أن القرطاجيين الذين كانت لهم مراكز تجارية على طول الساحل القطلوني هم الذين قاموا ببنائها، وان اسمها مشتق من اسم القائد هاميلكار برقة(Amilcar Barca). وخلال الحكم الروماني أصبحت المدينة تحمل اسم برثينونا (Barcinona)وبقيت كذلك حتى الفتح الاسلامي لشبه الجزيرة. (انظر: البكري المصدر السابق ، ص 910؛ شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997،ج2، ص 272-280).

3 – تقع سرقسطة شرق الأندلس، وهي قاعدة الثغر الأعلى، ويذكر الحميري بأنها تلقب بالمدينة البيضاء لكثرة جصها وجيارها، وقد جعلت منها بساتينها، وأنهارها زمردة خضراء، ويذكر أن مؤسسها هو الإمبراطور الروماني القيصر أغسطس، ولذلك فهي تعريب لاسم (Caesar augusta). (انظر: الإدريسي (الشريف أبو عبد الله): نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002 م، ص256؛ الحميري(محمد بن عبد المنعم): الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، 1984م، ص 317).

الشمالية المتاخمة لمملكته، وتعهد له بمساعدته فقبل شارلمان اقتراحه، وقرر غزو سرقسطة أولا لموقعها القريب من مملكته، وجعلها حاجزا في وجه الفتوحات الإسلامية بالإضافة إلى مكانتها الاقتصادية[1].

1- حملة شارلمان على الأندلس واستيلاؤه على برشلونة:

استجاب شارلمان لطلب ابن اليقظان، وسار في أفريل سنة 778م-161هـ، نحو الأندلس بعدما قسم جيشه إلى قسمين شرقي جعل على رأسه أحد قادته، وغربي تولى قيادته بنفسه، واتفق مع قائد الجيش الشرقي على أن يكون اللقاء أمام أسوار سرقسطة، حيث يلتقي شارلمان مع حلفائه من المسلمين (ابن اليقظان)، لكن الأمور تطورت في الثغر الأعلى في تلك الفترة، وحدث خلاف بين حكام مدنه حيث أن الحسين بن يحي الأنصاري، الذي كان واليا على سرقسطة تراجع عن رأيه في محالفة الفرنجة، وخاف من عواقب محالفة سليمان لشارلمان ورفض أن يستقبله، وحَصن المدينة ولم يستطع سليمان إقناعه بفتح أبوابها، ولما وصل شارلمان إليها لم يجد ما اتفق عليه مع سليمان، وهو ما أجبره على مهاجمة المدينة لكنه فشل، ولقي على إثر ذلك هزيمة قاسية، وارتد بجيشه نحو الشمال الشرقي، وكان ذلك في سنة 778م/شوال161هـ. وأثناء عودته إلى المملكة عبر ممر رونسفال(Roncesvalles)– باب الشيزرى في المصادر العربية - لكنه تعرض لهجوم قبائل الباسك(Basques)[2]، الذين انتقموا لما أقدم عليه شارلمان من تخريبٍ لمدينتهم بنبلونة(pamplona) خلال عبوره منها إلى سرقسطة. وتذكر الروايات أن المسلمين شاركوا في هذه الغارة مع الباسكين، وألحقوا بجيش شارلمان هزيمة مذلة، كما أن قائده المشهور رولان(Roland) قتل في تلك الحملة[3].

1- اينهارد، سيرة شارلمان، تر وتح عادل زيتون، دار الإحسان للطباعة والنشر، دمشق، 1989م، ص 74؛ مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم، تح إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط2، 1989 م ، ص 103؛ عبد الله عنان، الأندلس من الفتح، ص 168؛

Alfonso El Sabio , Primera Cronica Général Estoria De Esbana, T. 2 , Publicdo Por Ramon Menèndez Bidal, Madrid, 1906, p. 352-356.

2 - لا يعرف عن الباسك إلا القليل، وما يعرف عنهم أنهم سكنوا جبال البرانس، وعاشوا في هذه المنطقة مدة طويلة، واصطدموا مع شعوب قديمة مثل الأيبيريين والغاليين والرومان. والباسك من الشعوب الشديدة المراس التي لا تقبل الخضوع لسلطة معينة لغتهم هي بسكارا لا تمت بأي صلة لأي لغة من لغات العالم. (انظر: La Grande Encyclopédie, Paris T.6 , p. 926-927).

3 - اينهارد، المصدر السابق، ص 75-7؛

Alfonso El Sabio, op.cit, p.352-356.

عاد شارلمان إلى مملكته وصمم على الانتقام لهزيمته، وضرورة وضع حد فاصل بينه وبين المسلمين، وما سهل مشروعه هذه المرة هو عودة الاضطراب إلى مدن الثغر الأعلى، والثورات التي عرفتها قرطبة مركز الإمارة في تلك الفترة مما جعله يستأنف مشروعه. فاستولى على مدن الإقليم القطلوني كجيرونا(Gerona)،وبيسالو(Besallo)، وأورخل (Urgel)، وسرطانية(Cerdana)، وريباجورسا(Ribagorsa). ثم جاء الدور على برشلونة أكبر وأشهر مدن ذلك الإقليم. ففي سنة 185هـ/801م، سير شارلمان وابنه لويس(Louis)أمير أكيتانيا جيشا كبيرا نحوها، بعد أن قسمه الى قسمين، قسم يقوده حاكم جيرونة مهمته محاصرة برشلونة، وقسم يقوده ويليام دو تولوز مهمته منع وصول الإمدادات إلى المدينة. وبعد حصار دام سبعة أشهر ذاق خلالها سكان برشلونة كل أنواع المحن: فتحت المدينة أبوابها، ودخلها الجيش الفرنجي. وقد وصف أحد رهبان أكيتانيا تلك الأوضاع بقوله: " وانتهى الشهر الثاني، وقوات الفرنجة محاصرة، والمسلمون تأتيهم الهجمات من كل جانب، والسهام تمطر المدينة، والمسلمون خائفون وغضبهم يتزايد، ولم تكن لهم القدرة على الخروج من المدينة واستنفذت أقواتهم وبعدها قرروا الاستسلام، ففتحت المدينة أبوابها، فدخل لويس المدينة منتصرا وأخلاها من المسلمين "[1].

بعد دخول لويس برشلونة أطلق عليها شارلمان اسم الثغر الاسباني Marche) D'Espagne)المارك الاسباني، أو الثغر القوطي، وأصبح هذا الثغر كيانا سياسيا تحت حكم الفرنجة، وهم الذين يعينون حكامه، وأطلق على حاكمه لقب الكونت(Compter)، وهو ينوب عن الملك في حكم هذا الثغر، كما عين حكاما آخرين في المناطق التي استولى عليها في ذلك الإقليم بما في ذلك منطقة أراغون، وأسندت لهؤلاء الحكام مسؤولية إدارة الشؤون الإدارية وتحصيل الضرائب. كما أصبح ذلك الثغر شوكة في حلق المسلمين وذلك عندما اتحدت امارة برشلونة مع الممالك النصرانية لمحاربة المسلمين في الأندلس[2].

---

1 - David Gonzales, Brève historia de la corona de Aragon , Edicione Nowtulus , Madrid , 2012, p.5.

ولمزيد من المعلومات حول استيلاء شارلمان على برشلونة.(انظر: Victor Balaguer , Historia De Cataluña Y De La Corona De Aragon , Libreria De Salvador Manero , Barcallona, 1860 , T.1 , p. 242 ; عبد الله عنان، الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر، ص 235-236).

2 -David Gonzales , op.cit. , p.5 .

المحور الثاني: العلاقات بين المسلمين والممالك النصرانية في عهد الامارة الأموية

أولا: قيام الممالك النصرانية

قبل التطرق الى طبيعة العلاقات السياسية والعسكرية التي كانت بين المسلمين والممالك النصرانية في عهد الدولة الأموية، ينبغي علينا أولا أن نعرف ظروف قيام هذه الممالك والامارات ثم التطور الذي عرفته بعد فترة قصيرة من ظهورها.

1- مملكة ليون(Leon):

من المتفق عليه أن المسلمين خلال فتحهم لشبه الجزيرة الأيبيرية سنة 92هـ / 711م، قد تركوا بعض المناطق في أقصى الشمال، نظراً لقساوة مناخها، وصعوبة تضاريسها، واستصغارا لأمرها وانصرفوا إلى شؤونهم الداخلية، مما هيأ الجو لأعداد قليلة من سكان هذه المناطق، لتُكون لنفسها كياناً قوياً يستطيع مع الأيام منافسة الدولة الإسلامية الناشئة.

وأول من جمع هذه الأعداد القليلة من السكان هو بلاي[1] (pelayo)، الذي اتخذ من منطقة أشتوريس(Asturias) في أقصى الشمال الغربي من شبه الجزيرة قاعدة لتنفيذ مشروعه، وكان انتصاره على المسلمين في موقعة كوفادونجا [2] (Covadonga) عام 104هـ / 722م، التي تقع في سلسلة جبال كنتبرية(Cantabria) المنيعة، بداية لما اصطلح عليه المؤرخون الإسبان بحركة الاسترداد(La Reconquista). وفي تلك المنطقة التي لجا إليها بلاي وأتباعه كان ميلاد أول إمارة مسيحية (إمارة أشتوريس)، ثم تبعتها ممالك أخرى. ولما توفي بلاي بعد أن وحد بين أشتوريس وجليقية[3](Galicia)في مملكة واحدة، خلفه ابنه فافيلا(Favilla) إلا أن فترة حكم هذا الأخير لم تطل حيث توفي دون أن يترك وريثا، فانتقل الحكم إلى ألفونسو الأول (Alfonso)حاكم إمارة كنتبرية الذي كان متزوجا من

---

[1] – اختلفت المصادر حول أصله، ولا يعرف على وجه التحديد، إن كان قوطيا أو من سلالة الأيبريين الرومان الذين حكمهم القوط حتى الفتح الإسلامي. ترجح بعض الروايات أنه كان ابنا لفافيلا(Favilla) دوق كنتبرية؛ في حين ذهب فريق أخر إلى أن بلاي كان حاملا لسيف لذريق، وأنه هرب إلى أشتريس حينما غزا المسلمون البلاد، ونصب نفسه أميرا عليها. (انظر: المقري، المصدر السابق، ج4، ص 350؛ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 318).

[2] – سميت باسم كوفا دونغا نسبة إلى الكهف الذي دارت المعركة بالقرب منه، والذي كان بلاي وأتباعه يختبئون فيه ، وقد تمكن بلاي من هزيمة المسلمين فيها وقتل قائدهم علقمة. تعتبر المدونات الإسبانية أن النصر الذي حققه بلاي في تلك المعركة البداية الحقيقية لحركة الاسترداد. (انظر: حسين مؤنس، المرجع السابق، ص321 وما بعدها من الصفحات).

[3] – تقع جليقية في أقصى الشمال الغربي من شبه الجزيرة الأيبيرية تشرف على المحيط الأطلسي، ويسمى أهلها بالجلالقة، وهي بلاد لا يطيب سكناها لغير أهلها. (انظر: الحموي، المصدر السابق، ج2، ص 175؛ الحميري، المصدر السابق، ص 169).

أرمزندة(Hermesinda)ابنة بلاي، وبذلك استطاع ألفونسو الأول أن يوحد بين أشتوريس وكنتبرية في مملكة واحدة سميت مملكة أشتوريس أو مملكة جليقية. وحملت هذا الاسم إلى غاية سنة 910م، عندما قام الملك غرسيه (Garcia) ابن الفونسو الثالث بنقل العاصمة من أوفيدو (Oviedo)إلى ليون، وسميت منذ ذلك الحين بمملكة ليون[1].

2- مملكة نفار(Navarra):

سكن نفار شعب شديد المراس يسمى الباسك، نسبة إلى خليج بسكاية (Baskaya) في الشمال. ويسميها المسلمون بلاد البشكنس. والباسك من أكثر الشعوب تمسكاً بعاداتهم وتقاليدهم، وميلهم إلى الاستقلال بأنفسهم، وقد حاول أمراء جليقية وملوك الفرنجة عدة مرات ضمها ولكن دون جدوى. وفي سنة 780م، نصب أحد زعمائهم المسمى أزوار (Azwar) نفسه أميرا على تلك المنطقة. يعتبر انيغو اريستا (Inigo Arista)– ونقة بن شانجة في المصادر العربية – أول ملك لمملكة نفار، وقد جعل من مدينة بنبلونة عاصمة لمملكته الناشئة، وقد غزاها المسلمون ودخلوها عــدة مرات[2] .

3-امارة قطلونية(برشلونة):

إلى جانب الممالك النصرانية التي ظهرت في النصف الشمالي من شبه الجزيرة كان يقوم في الركن الشمالي الشرقي مما يلي جبال البرانس كيان مسيحي صغير أخر يعرف باسم كونتية او إمارة قطلونية عاصمتها برشلونة. وكانت هذه الأخيرة أول مدينة مهمة يفقدها المسلمون في الشمال، وذلك عقب الحملة عسكرية التي قادها شارلمان اتجاهها سنة 185هـ\801م، وأطلق عليها اسم الثغر القوطي، أو الثغر الإسباني، وجعلها قاعدة أمامية لحماية حدود مملكته من غزو المسلمين. وكان حكام الفرنجة في غاليا يعينون حكام هذا الثغر في البداية من الأشراف أو الكونتات الذين ينتمون إلى أصل قوطي أو فرنجي، ولما ضعفت مملكة الفرنجة وانقسمت سنة 843م، وتخلت عن حماية هذا الثغر، و إمداده بالمؤن، وشعر أولئك الكونتات بقوتهم وبعدهم عن الحكومة المركزية، أعلنوا استقلالهم وانقسم الثغر إلى عدة إمارات أو كونتات صغيرة أهمها إمارة قطلونية او برشلونة[3].

---

1 - Alfonso El Sabio, op.cit ,p.322sqq ;

حسين مؤنس، المرجع السابق، ص321؛ عبد الله عنان، الاندلس من الفتح الاسلامي، ص 212-213.

2 – عبدالله عنان، الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1997م، ص 318 .

3 – تم التطرق الى ظروف استيلاء شارلمان على برشلونة في المحور الأول.

ثانيا: العلاقات السياسية والعسكرية بين الطرفين

1- مع مملكة ليون(جليقية):

إن انشغال عبد الرحمان الداخل بقمع الثورات والفتن الداخلية صرفه كثيرا على مهاجمة الممالك المسيحية الاسبانية الناشئة، أما هاته الأخيرة فقد ساعدتها تلك الأوضاع على توسيع حدودها على حساب الأراضي الاسلامية. وتذكر الروايات الأجنبية أن ملك جليقية فرويلا الأول(Fruela)(758-774م) هاجم الحدود الاسلامية المتاخمة لمملكته، واستولى على العديد من الحصون والمدن كلكة(Lugo) والبرتغال[1] (Portugal)وسمورة(Zamora) وشقوبية(Ségovia)، وهي مدن مهمة في الحدود مع مملكة جليقية. وحدثت أول مواجهة عسكرية بين الطرفين في سنة 150هـ\768م، وذلك عندما سير عبد الرحمان الداخل جيشا يقوده مولاه بدر إلى ألبة(Alava) فدخلها وأثخن في أهلها، وأخذ منهم الجزية، ومنذ تلك الحملة حتى وفاة الداخل لم تحدث بين الطرفين أية مواجهة رسمية، وذلك بسبب انشغال كلا الطرفين بظروفهما الداخلية[2].

وبعد وفاة عبد الرحمان الداخل خلفه ابنه هشام(172-180هـ/788-796م)، وقد اشتهر هذا الأخير بمجاهدة النصارى وقتالهم، وبعد أن وطد الأوضاع الداخلية وقضى على منافسيه في الحكم، سير حملة عسكرية سنة 176هـ\ 792م، إلى ألبة والقلاع المجاورة لها، ونجحت هذه الحملة في هزيمة جيش برمودو(Bermudo)(774-791م)، وعادت محملة بالغنائم، ولما تولى ألفونسو الثاني الحكم سنة 791م، سير إليه هشام حملة عسكرية نجحت هي الأخرى في تحقيق انتصار حاسم، وكان للحملات العسكرية المتكررة التي شنها هشام اتجاه المدن النصرانية اثر كبير على نفسية الملوك، وجعلهم ذلك يعيدوا ترتيب امورهم من جديد والاكتفاء بالدفاع عن أراضيهم[3].

1 - كانت البرتغال أول الأمر عبارة عن كونتية تابعة لمملكة أشتوريس، ذلك أن أوردينيو الثاني(Ordinio) ملك اشتوريس عندما قام بتقسيم مملكته بين أولاده خص ابنه راميرو الثاني (926-950) بمنطقة البرتغال، وجعله كونتا عليها، وكانت تظم في ذلك الوقت المنطقة الواقعة بين مدينة قلمرية(Colombra)، ونهر المينة، وكانت بازو(viseu) عاصمة لهذه الكونتية. (انظر: محمود النشار، تأسيس مملكة البرتغال، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 1995، ص 62).

2 - ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص 54؛ عبد الله عنان، الاندلس من الفتح الاسلامي، ص 215.

3 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 4، ص159؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص 63.

ولما تولى الحكم بن هشام (186-206هـ/796-822م) الحكم، استغل ألفونسو الثاني انشغاله بالثورات الداخلية وحالة لا استقرار التي عرفتها قرطبة[1] (Cordoba)في تلك الفترة، فقاد حملات متتالية وتوغل في الأراضي الاسلامية حتى وصل الى مدينة لشبونة (Lisbon)، وانتقاما لذلك غزا الحكم في السنة الموالية مملكة جليقية واثخن في أهلها. وسير خليفته عبد الرحمان الثاني (الأوسط)(206-238هـ/822-852م) العديد من الحملات اتجاه بلاد النصارى خاصة ألبة والقلاع. وأول هذه الحملات كانت سنة 208هـ/823م، قادها عبد الكريم بن عبد الواحد اتجاه ألبة والقلاع انتصر فها الجيش الاسلامي وغنم الكثير، وأجبر أهل تلك المنطقة على دفع الجزية. وبعد تلك الحملات المخربة في الاراضي الجليقية، انشغل عبد الرحمان الأوسط والممالك النصرانية كذلك بغزوات النورمان(North men)[2]المخربة التي بدأت سنة 227هـ/842م، ولما زال خطر هؤلاء الشماليون، سير عبد الرحمان حملة عسكرية أسند قيادتها لابنه محمد(238-273/852-886م) إلى جليقية، فاخترق أراضيها حتى وصل الى مدينة ليون، فضرب عليها حصارا لكنه عجز عن دخولها بسبب حصانتها، وكانت أخر غزوة وجهها عبد الرحمان اتجاه جليقية سنة 238هـ/852م، التقى فيها الطرفان في واحدة من أعنف المعارك سميت بالمعركة البيضاء، تلقى فيها النصارى هزيمة مذلة[3].

ولما تولى محمد بن عبد الرحمان الحكم كانت بلاد الأندلس على شفا المنحدر، وذلك بسبب الثورات الداخلية والحركات الانفصالية كثورة عمر بن حفصون[4] في بربشتر(Barbastro)، ومروان

1- قرطبة قاعدة الأندلس، وأم مدائنها، ومستقر خلافة الأمويين بها. تقع جنوب الأندلس، يحدها شمالا مدينة طليطلة، ومن الغرب مدينة اشبيلية، ومن الشرق بطليوس، وغرناطة من الجنوب. عرفت بمسجدها الشهير، والفريد من نوعه بالأندلس، كما عرفت بمناظرها الجميلة، بالإضافة إلى انتساب عدد كبير من أهل العلم لها أبرزهم: الرازي وأبو غالب القرطبي. (انظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص 574؛ الحميري، المصدر السابق، ص 458-460).

2- سيتم التطرق الى اصل هؤلاء والى حملاتهم على الاندلس في المحاضرة الموالية.

3 - ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص 82-87؛ المقري، المصدر السابق، ج1، ص 344؛ عبد الله عنان، الاندلس من الفتح، ص 231، 255؛ 260.

4 - لمزيد من المعلومات حول ثورة ابن حفصون وأثرها على الأمويين بالأندلس.(انظر: ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص 106؛ عبد الله عنان، الاندلس من الفتح، ص 318وما بعدها من الصفحات).

الجليقي في غرب الأندلس، وبنو قسي[1] في الثغر الأعلى(سرقسطة)(Saragossa)[2] ، بالإضافة الى العصبية القبلية والصراع العربي البربري كل ذلك شغل الأمير الأموي عن محاربة النصارى، وفي المقابل استثمر هؤلاء في تلك الأوضاع، وأخذوا في توسيع حدود بلادهم، حيث قام الملك أردونيو بعبور نهر الدويرة، وغزا مدينة قورية(Coria) وأسرا واليها، ثم غزا سلمنكة وأثخن في أهلها، وكرد فعل على ذلك سير الأمير محمد حملة عسكرية قادها ابنه المنذر، اخترقت ألبة والقلاع، ووصلت حتى بنبلونة، وعاث في نواحيها، وبعد ذلك توالت المواجهات بين الطرفين وكانت سجالا بينهما. ومن أجل القضاء على مملكة جليقية نهائيا سير الأمير الأموي محمد في سنة 266هـ/879م، سفنا لغزوها من جهة الغرب، لكن هبوب رياح وعواصف حالت دون دخولها، ففشل بذلك مشروع الأمير الأموي[3].

وبعد وفاة أوردنيو خلفه ابنه البكر ألفونسو وأخذ اسم ألفونسو الثالث(866-910م)، وقد حكم هذا الأخير لأكثر من أربعين عاما، اشتهر خلالها بالشجاعة والحنكة السياسية، ووصلت المملكة في عهده إلى أقصى اتساع لها، واتقاء لشره قام الأمير محمد بتحصين المدن والقلاع، كما بنا بعض الحصون كحصن مجريط (Magret)لحماية طليطلة[4]، وحصون أخرى محاذية لواد الرمل. ومن جهته قام ألفونسو الثالث ببناء العديد من القلاع والحصون المتاخمة لبلاد المسلمين، كحصن سمورة، وسان استيبان(San Estéban)وغيرها من الحصون المهمة. وبعد وفاة الأمير محمد، قويت الثورات

1 – بنو قسي أسرة إسبانية أسلمت بعد فتح الثغر الأعلى، لكنها لم تبق على ولائها طويلا للحكم الإسلامي، ففي عهد الحكم الربضي، قام أحد أفرادها المسمى " فرتون بن موسى " بالثورة، وأعلن العصيان، وانفرد بحكم سرقسطة، لكنه لم يصمد طويلا وقتل، إلا أن خليفته موسى الثاني تمكن من توسيع منطقة حكمه، وأضاف إليها تطيلة، ووشقة، وأقام علاقات مع ملوك النصارى مثل شارل الأصلع ملك الفرنجة في غاليا، لكنه لم يلبث أن قتل، وبمقتله انتهى حكم بني قسي لمنطقة الثغر الأعلى. (انظر: شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997م، ج2، ص132 وما بعدها من الصفحات).

2 – تقع سرقسطة شرق الأندلس، وهي قاعدة الثغر الأعلى، ويذكر الحميري بأنها تلقب بالمدينة البيضاء لكثرة جصها وجيارها، قد جعلت منها بساتينها، وأنهارها زمردة خضراء، ويذكر أن مؤسسها هو الإمبراطور الروماني القيصر أغسطس، ولذلك فهي تعريب لاسم (Caesar augusta). (انظر: الحميري، المصدر السابق، ص 317؛ الإدريسي المصدر السابق، ص256).

3 – ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص 97-106؛ ابن خلدون، المصدر السابق،ج4، ص 157. المقري، المصدر السابق، ج1، ص 350؛ عبد الله عنان، الاندلس من الفتح، ص 292 وما بعدها من الصفحات.

4- طليطلة من أشهر المدن الأندلسية تقع وسط شبه الجزيرة الايبيرية، كانت عاصمة القوط الغربيين، ودار ملكهم عرفت بحصانتها ومناعتها الشديدة، أما خلال العهد الإسلامي، فقد أصبحت قاعدة الثغر الأوسط وحاجزا منيعا في وجه الممالك المسيحية في الشمال. (انظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص 536؛ الحميري، المصدر السابق. ص 393).

الداخلية أكثر من أي وقت مضى، وكانت أعنفها ثورة ابن حفصون، واستعان حكام الثغر الأعلى كبنو القسي وبنو الطويل بملوك النصارى في ثورتهم، كما عرفت مملكة جليقية نفس الظروف، كل ذلك شغل الطرفين على الحرب، فآثر ألفونسو الثالث مسالمة المسلمين فعقد معهم معاهدة سلام استمرت لسنوات طويلة. وبعد تلك الاتفاقية تولى حكام منطقة الثغر الأعلى مهمة مهاجمة المدن المسيحية، فهاجم محمد بن لُب المدن المتاخمة له، وهاجم المهدي زعيم البربر حصن سمورة، وكل المعارك التي حدثت بين المسلمين والنصارى في تلك الفترة لم تتسم بالطابع الرسمي، والذين قاموا بها هم قادة خارجين عن الحكم الأموي[1].

2- مع مملكة نفار:

ظهرت مملكة نفار بشكل رسمي خلال القرن التاسع الميلادي/ الثالث الهجري، حيث كانت قبل ذلك تخضع لحكم الفرنجة أحيانا وأحيانا أخرى لملوك جليقية، وشاركت مع هؤلاء في حروبهم ضد المسلمين، لكن هزيمتها رفقة حلفائها سنة 200هـ/815م، جعلها تجنح لمسالمة المسلمين. وبعد تلك الفترة تحالفت مملكة نفار مع بني قسي سواء في حربها مع النصارى(جليقية، الفرنجة) أو مع المسلمين، وذلك بحكم علاقة المصاهرة التي جمعت بينهما، وقد شكل أمراء بني قسي مصدر قلق وازعاج كبير بالنسبة للأمويين في قرطبة، وذلك بتحالفهم مع الممالك النصرانية في حربها مع المسلمين أو من خلال استقلالهم بحكم بعض المدن في منطقة الثغر الأعلى، كل ذلك دفع بأمراء بني أمية للعمل على استئصال شأفتهم، وبعد صراع طويل أيقن موسى بن موسى القسي عدم قدرته على مواصلة الحرب مع الأمويين، مما جعله يعلن خضوعه ويدخل في طاعة الأمير الأموي عبد الرحمان الأوسط[2]. وبعد ذلك سير الأمير محمد سنة 246هـ/860م، حملة اتجاه بنبلونة، نجحت في اخضاع العديد من الحصون والقلاع القريبة منها، كما استطاع الجيش الاسلامي أسر فُرتون بن غرسية، وبقي أسيرا لأكثر من عشرين سنة إلى أن أفرج عنه الأمير محمد[3]. وفي سنة 862م، تلقت مملكة نفار

1 -Alfonso El Sabio, op.cit ,p.369-379;

عبد الحليم رجب ، العلاقات بين الأندلس الإسلامية واسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، القاهرة، بيروت، د.س.ط، 140-147 ؛عبد الله عنان، الاندلس من الفتح، ص 358.

2 - عبد الحليم رجب، المرجع السابق، ص 149-152؛ عبد الله عنان، الاندلس من الفتح، ص 263.

3 - ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص 102؛ المقري، المصدر السابق، ج1، ص 351

ضربة موجعة، وذلك بمقتل ملكها غرسيه في حربه مع مملكة جليقية، وهو ما جعلها تختفي عن مسرح الأحداث السياسية والعسكرية لشبه الجزيرة في تلك الفترة[1].

وفي الوقت الذي انشغل فيه أمراء بني أمية عن حربهم مع مملكة نفار بسبب أوضاعهم الداخلية، تولى بعض أمراء الثغر الأعلى القيام بذلك، ففي تلك الفترة هاجم محمد بن لُب زعيم أسرة بني قسي الجيش النفاري المعسكر بالقرب من منطقتهم، كما هاجم العديد من الحصون والقلاع الواقعة في الحدود معهم. كما هاجم محمد بن عبد الملك الطويل زعيم أسرة بني الطويل، بعض الحصون من جهة برطانية. وفي سنة 296هـ/909م، هاجم مدينة بليارش(Pallares)، وهدم حصونها، وسبى وغنم الكثير، وبعدها بسنة هاجم حصن أوريولة(Orihuela)، ففتحه وقتل وأسرى الكثير من أهله. وفي سنة 298هـ/911م، تحالف محمد بن الطويل ومحمد بن لب لمهاجمة الأراضي النفارية لكنهما أخفقا في مشروعهما هذا[2].

3- مع امارة قطلونية(برشلونة):

في سنة 189هـ/ 805م، أرسل الأمير الأموي الحكم حملة عسكرية لاسترجاع برشلونة، لكنها فشلت، وكان من نتائج هاته الحملة أن عقد الطرفان في سنة 201هـ/816م، معاهدة صلح لكنه لم يستمر طويلا، وذلك بسبب قيام برنارد حاكم برشلونة بالهجوم على القلاع والحصون الموجودة في الثغر الأعلى، وهو ما أثار غضب عبد الرحمان الثاني(الاوسط)، فسير إليه حملة عسكرية تزعمها عبد الله البلنسي، وكان ذلك سنة 212هـ/ 827م. ولما وصل البلنسي أمام أسوار برشلونة ضرب عليها حصارا استمر لأيام متتالية لكنه لم ينجح في دخولها بسبب حصانتها، وبسالة أميرها في الدفاع عنها[3].

وذكرنا سابقا أن مملكة الفرنجة أصابها الضعف بعد وفاة لويس التقي سنة 840م، ثم انقسامها سنة 843م، بين أبنائه الثلاثة، فكانت البلاد التي أصبحت تسمى فيما بعد بفرنسا من نصيب ابنه شارل الأصلع(840-877م). وعرفت المملكة بعد توليه الحكم العديد من الثورات والفتن أهمها صراعه مع ابن أخيه بيبين الثاني، الذي تحالف مع ويليام أمير تولوز، وطلب الاثنان المساعدة من

1- عبد الحليم رجب، المرجع السابق، ص 153.

2 - ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص 102.

3 -ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص 82؛ عبد الله عنان، الأندلس من الفتح الى بداية عهد الناصر، ص 241، 257.

الأمير الأموي عبد الرحمان الأوسط، فأرسل إليه هذا الأخير جيشا يقوده عبد الكريم بن المغيث، واستطاع المتحالفون عزل معظم حكام شارل الأصلع في المدن القطلونية بما فيها برشلونة، وتم تنصيب ويليام حاكما لهذه الأخيرة.

وبعد سنوات قليلة ثار أهل برشلونة على ويليام وساعدوا شارل الأصلع على قتله، ولما علم عبد الرحمان بذلك، بعث اليهم حملة عسكرية يقودها موسى بن موسى حاكم الثغر الأعلى، وقد نجح هذا الأخير في دخول برشلونة وفتح معظم المدن القطلونية الأخرى ثم عادا منتصرا، وكان ذلك سنة 242هـ/857م[1].

وفي سنة 247هـ/861م، سير الأمير محمد حملة عسكرية أخرى اتجاه برشلونة، وذلك بسبب قيام الفرنجة في برشلونة بمهاجمة القلاع الاسلامية في منطقة الثغر الأعلى، ونجحت هذه الحملة في دخول برشلونة، ولما عجز الجيش الفرنجي في استرداد برشلونة طلبوا العون من ملكهم شارل الأصلع، كما طلب قائد الجيش الاسلامي العون والمدد من الأمير الأموي لكن كفة المسلمين كانت هي الراجحة[2].

وبعد توالي الحملات الاسلامية على برشلونة اضطر الملك الفرنسي شارل الأصلع على عقد معاهدة سلام مع الأمير الأموي محمد سنة 250هـ/864م، تنازل من خلالها هذا الأخير عن برشلونة لصالح الفرنجة، أما شارل الأصلع فقد تعهد بعدم مساعدة الممالك النصرانية في صراعها مع المسلمين، ومنذ تلك اللحظة اختفى الصراع الفرنجي الإسلامي في الاقليم القطلوني، ما عدا بعض الغارات التي قام بها حكام الثغر الأعلى وهي مواجهات غير رسمية[3].

1 – المقري ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 346 ؛ عبد الحليم رجب، المرجع السابق، ص 158؛ عبد الله عنان، الأندلس من الفتح الى بداية عهد الناصر ، ص 265.

2 – ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 167؛ المقري ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 346 .

3 – عبد الحليم رجب، المرجع السابق، ص 158.

المحور الثالث: الغزو النورماني لبلاد الأندلس

أولا: أصل النورمان وأسباب توسعهم

1- أصلهم:

عرفت أوربا خلال القرن التاسع والعاشر الميلاديين حركة اجتياح عارمة قادها النورمان (الفيكينغ) (The Vikings)، وقد كان لهذه الحركة تأثير كبير على الأوضاع العامة لأوربا، حتى أصبح المؤرخون يطلقون على تلك الفترة " عصر النورمان أو الفيكينغ ". ونعني بكلمة الفيكينغ سكان الخلجان أو الفيوردات(Fiord) . أما كلمة النورمان(North men)، فهي تعني الشماليون أو رجال الشمال[1] . وأطلق المسلمون على هؤلاء النورمان اسم الأرماندیين أو المجوس، لأنهم كانوا يكثرون من إشعال النار بالأماكن التي ينزلون بها حتى ظن المسلمون أنهم يعبدون النار مثل المجوس[2] .

أما عن اصل هؤلاء النورمان، فهم يرجعون إلى الأصل الجرماني التيوتوني، والاختلاف الموجود بينهم وبين الجرمان هو أن النورمان ظلوا محافظين على عاداتهم وتقاليدهم وطريقة عيشهم حتى القرن التاسع الميلادي، أما الجرمان فقد بدءوا هجرتهم منذ القرن الثاني قبل الميلاد، واحتكوا بالإمبراطورية الرومانية. وهناك فرق أخر ميزهم عن الجرمان هو أن هؤلاء كانت توسعاتهم برية، أما النورمان فقد كانت توسعاتهم بحرية، فقد برعوا في صناعة السفن وركوب البحر، والوصول إلى أقص الاماكن والجزر البحرية، حتى أصبحوا يعرفون بأشهر الشعوب البحرية في العصور الوسطى، بالإضافة إلى أن الغزوات الجرمانية كانت تكتنفها الفوضى وانعدام التنظيم، ولم تكن تحت قيادة واحدة (مجموعة القبائل)، ومدة التوسع والغزو كانت طويلة، أما الغزوات النورمانية فكانت مدتها قصيرة (حوالي قرنين من الزمن)، والعناصر التي قامت بالغزو واضحة وتمت تحت قيادة ثلاثة عناصر معروفة (الدانماركيون، السويديون، النرويجيون)[3].

---

1 -Stefan Brink , The viking world , Rout ledge, London, 2008,p.5 ; The New Cambridge,Vol.4,p.154 .

2 - سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ج1، ص 174.

3- نفسه.

2- أسباب توسعهم

تعددت الأسباب التوسعية للنورمان بين ما هو اقتصادي وما هو نفسي وما هو سياسي، ويمكن تلخيص تلك الأسباب فيما يلي :

- زيادة عدد سكان النورمان وبذلك أصبحت المنطقة التي يعيشون فيها عاجزة عن توفير حاجياتهم ومتطلباتهم الضرورية، لأن منطقة اسكندنافيا عرفت بكثرة الغابات الكثيفة والمستنقعات الواسعة، بالإضافة إلى الظروف المناخية القاسية (ثلوج وأمطار طوال السنة).
- العجز التجاري الذي أصاب الفيكينغ خاصة بعد أن استولى شارل مارتل ثم شارلمان على منطقة سكسونيا وفريزيا ، لأن هاتين الأخيرتين كانتا حلقة وصل بينهم وبين الشرق وبينهم وبين الجنوب (غاليا، ألمانيا)، وهو ما دفعهم للتوسع على حساب الكارولنجين بعد وفاة شارلمان.
- طبيعة الإنسان النورماني فقد تميز هذا العنصر بحبه للتوسع والمغامرة والهجرة والبحث عن الثروة.
- هناك عامل سياسي تمثل في ظهور الملكية وخاصة عند النرويجيين، حيث قام هذا النظام بتقيد الحريات والمغامرات، وهو ما رفضه الشباب المغامرين المتحمسين للتوسع والمغامرة والاندفاع .
- هناك من يرى أن هذا الغزو جاء كرد فعل للغزوات التي وجهها شارلمان اتجاه السلاف والسكسون، وتحطيمه للاه أودن(Oden)، فقرر النورمان الانتقام لذلك.
- عامل أخر تمثل في تطور علوم الفلك والصناعة البحرية عند الفيكينغ ، فقد برعوا في صناعة السفن التي تنخر المحيطات ثم تعود سالمة، وهذه السفن حملت اسم دركار(Dracker)، وهي سفينة تحتوي على شراع وعمود واحد، وتحمل أكثر من ثمانين محارب، وأكثر من ثلاثين مجذاف، وهي صفات ساعدت الفيكينغ على مباغتة عدوهم[1] .

1- The middle ages a concise encyclopedia, New York, 1991, Vol.4,p.48; Encyclopedia of World History, New York, 2008, p.417;

السيد الباز العريني، تاريخ أوربا العصور الوسطى، دار النهضة العربية، لبنان، د .س. ط، ص 350-354؛ سعيد عبد الفتاح عاشور ، المرجع السابق، ج1 ، ص 175.

ثانيا: عناصر النورمان:

1 – النرويجيون :

كانت وجهتم الجزر الشمالية: جريلند(Greenland)، ايسلندا (Island)، ايرلندا(Ireland). خلال القرن الثامن اجتاح النرويجيون جزيرة ايرلندا واستقروا بها، ومن ايرلندا اتجهوا نحو بريطانيا ووطئت أقدامهم أراضيها، ثم ساروا بمحاذات سواحل فرنسا ووصلوا اسبانيا، ثم عادوا غربا ولفوا حول السواحل الغربية للمغرب، ثم عبروا جبل طارق ووصلوا السواحل الجنوبية لفرنسا، وتذكر الروايات أنهم وصلوا حتى السواحل الإيطالية والمصرية. ولم يجد النرويجيون أي عائق للتوغل في أعماق المحيط الأطلسي، ووطئت أقدامهم جزيرة ايسلندا، وجريلندا. وفي القرن العاشر الميلادي وصلوا السواحل الأمريكية، ودخلوا وسطها ووصلوا حتى مدينة مينوسوتا(Minnesota)[1] .

2– السويديون :

كانت وجهتهم نحو الشرق، لكن توسعهم تميز بالطابع السلمي التجاري[2] على عكس العناصر النورمانية الأخرى، وقد كان البحر البلطي(Baltic Sea)[3]ميدانا أساسيا في توسعهم، وانطلاقا من سواحله وصلوا إلى نهر الفولغا والدون، وبتلك المناطق أطلق عليهم السلاف لقب الروس(Russ)[4]. بلغوا سواحل البحر الأسود، والسواحل الجنوبية لبحر قزوين، وسيطروا على التجارة في تلك المنطقة، وتبادلوها مع المسلمين والبيزنطيين كما استطاعوا تأسيس مراكز تجارية وعسكرية تحولت إلى مدن

---

1 – Stefan Brink , op.ciy.p.48 ; The Middle Ages,Vol.4,p.41 ; Encyclopedia of Word,V2,p.417;

السيد الباز العريني ، المرجع السابق ، ص 359 ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 196.

2– يرى بعض المؤرخين أن الهدف الأساسي من اتجاه السويديين نحو روسيا هو الحصول على العملة النقدية الفضية الإسلامية التي كانت موجودة بها ، وذلك بسبب تجارة الفرو التي كانت قائمة بين العرب والخزر في تلك المنطقة. (انظر : زكية كربال، التطور السياسي و الحضاري لروسيا من خلال كييف من منتصف القرن التاسع حتى الربع الأول من القرن الثاني عشر الميلادي ، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ ، 2001م، ص 10) .

3 – خليج داخلي كبير يقع شمال أوربا يفصل شبه الجزيرة الإسكندنافية عن السواحل الشمالية للقارة الأوربية، كما يعتبر حلقة وصل بين فنلندا وألمانيا الشرقية وبولندا والسويد واستونيا ببحر الشمال والمحيط الأطلسي. (انظر : الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر و التوزيع، الرياض ، السعودية ، 1999م، ج5 ، ص 84) .

4– هناك اختلاف بين المؤرخين حول أصل الكلمة . لمزيد من التفاصيل حول ذلك . (انظر : زكية كربال ، المرجع السابق ، ص 11) .

مزدهرة لا زالت قائمة لوقتنا الحالي كمدينة كيف(Kiev)، وسمولنسك(Smolensk)[1] .

3- الدانيون (الدانماركيون)

1.3- غارات الدانيين للإمبراطورية الكارولنجية:

بدأت الغارات النورمانية اتجاه الإمبراطورية الكارولنجية منذ عهد شارلمان الذي عجز عن إيجاد حل يقيه شر هؤلاء الغزاة، وقد تزعم هذه الغارات القائد الدنماركي جودفري(Geoffrey). وفي عهد ابنه لويس التقي، استغل الدانيون فرصة تدهور الأوضاع داخل الإمبراطورية الكارولنجية بسبب ضعف شخصية لويس التقي، والحرب الأهلية التي كانت بينه وبين أولاده، فقادوا العديد من الحملات التوسعية، وخربوا الكثير من المدن، وأمام هذا الخطر لم يجد لويس التقي من سبيل سوى استرضاء هؤلاء الغزاة بالأموال والهدايا الثمينة، كما سمح لهم بالاستقرار في إحدى المناطق الشمالية من الإمبراطورية، لكن سياسته هذه لم تجد نفعا، وتواصلت غارات الدانيين داخل الأراضي الكارولنجية، وما سهل لهم عملهم هذا هو كثرة الأنهار خاصة بفرنسا، فبعد وفاة لويس التقي، استغل الدانيون الحرب الأهلية التي قامت بين أولاده الثلاثة، فاستولوا على مدينة بوردو سنة 847م ، كما قاموا بإحراق العديد من المدن، وخربوا الأديرة والكنائس بحثا عن الكنوز[2] .

وفي هذه الظروف، وأمام فشل كل المحاولات العسكرية لوقف الغزوات الدانماركية اضطر ملوك الفرنجة إلى مسالمتهم ودفع مبالغ مالية مقابل ذلك، كما سمحوا لهم بالاستقرار في بعض المناطق مثل ما قام به شارل السمين(The fat)(881-889م)، عندما سمح لجودفري ملك الدانيين الاستقرار في إقليم فريزيا، ومنحه مبلغا ماليا، فتعهد هذا الأخير باعتناق المسيحية. وبالرغم من ذلك فإن الغارات الدانماركية لم تتوقف فقد حاصروا مدينة باريس مرة أخرى، كما استغلوا فرصة الحرب الأهلية بين أودو وشارل البسيط(The Simple)(899-922م)، وكثفوا من هجماتهم، وهو ما دفع هذا الأخير إلى عقد معاهدة سلم مع ملك الدانيين رولو(Rollo) سنة 911م، عرفت هذه

1- Stefan Brink , op.ciy.p.54-56 ; The New Cambridge ,Vol.2 , p.210 ; The Middle Ages,Vol.4 , p.40 .

2 - أينهارد ، المصدر السابق ، ص 94 ؛ السيد الباز العريني ، المرجع السابق ، ص 362 ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 179؛

Encyclopedia of Word,Vol.1,p.195 ; The Middle Ages,Vol.4 , p.147.

المعاهدة بـ : معاهدة سانت كلاير سير ابت(Saint Clair sur epte)، وبموجبها تحصل هذا الزعيم على إقليم واسع يمتد من شبه جزيرة بريتاني إلى نهر السوم، حمل فيما بعد اسمهم " إقليم نورماندیا Normandy" .

تعهد رولو بموجب هذه المعاهدة بالخلود إلى السكينة والاستقرار، واعتنق المسيحية، كما قطع من خلالها يمين الولاء والتبعية لشارل البسيط، وتحول بمقتضاها من غازي إلى حليف للملك، ثم تزوج ابنة شارل فأصبح صهرا له، ومنحه لقب دوق، ومع مرور الوقت اندمج النورمان مع الفرنسيين لكنهم بقوا محافظين على عاداتهم وتقاليدهم، وقد عرفت نورمنديا في عهد النورمان تطورا اقتصاديا وحضاريا، وأصبحت من أقوى الكيانات في فرنسا[1].

ثانيا: حملات النورمان على بلاد الأندلس

1- الحملة الأولى(230هـ/843م):

إن الرخاء الاقتصادي الذي اشتهرت به شبه الجزيرة الأيبيرية وتنوع ثرواتها خاصة بعد الوجود الاسلامي بها دفع بالنورمان إلى غزوها، ويعود أول ظهور لهم فيها إلى سنة 843م، وذلك عندما هاجموا الأراضي الجليقية، لكن ملكها راميرو (Ramiro)استطاع صدهم، وحرق البعض من مراكبهم، وبعد ذلك اتجهت أنظار النورمان إلى السواحل الغربية والتي كانت أكثر مدنها اسلامية[2]. وتذكر المصادر العربية أن أول ظهور لهم بالأراضي الاسلامية كان في مدينة لشبونة، وبمجرد وصولهم إليها استنجد حاكمها المسمى "عبد الرحمان" بالأمير الأموي عبد الرحمان الثاني، وأطلعه بالخطر الذي نزل بهم، وفور ذلك بعث عبد الرحمان الثاني إلى حكام المدن المجاورة والثغور بضرورة أخذ الحيطة والاستعداد لمواجهة هؤلاء الغزاة. ومكث النورمان بلشبونة مدة تزيد عن ثلاثة عشر يوما، واجهوا فيها

1 - The New Cambridge, Vol.2 , p.201; Encyclopedia of Word,Vol.1,p.195; The Middle Ages,Vol.1,p.147;

السيد الباز العريني ، المرجع السابق ، ص 363 ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 180-189.

2 - عبد الله عنان، الأندلس من الفتح حتى نهاية عهد الناصر، ص 262.

المسلمين في العديد من المرات[1]. وذكر لنا ابن عذاري تلك الأحداث بقوله:"فخرج المجوس في نحو ثمانين مركبا كأنما ملأت البحر طَيرا جُوتا، كما ملأت القلوب شُجوا وشُجونا"[2].

وبعد لشبونة سار النورمان نحو مدينة قادش(Cadis)، ثم شدونة(Sadona)، إلى أن وصلوا إلى مدينة اشبيلية[3] (Sevilla)، وكان ذلك سنة 230هـ/843م، وأحدث ظهورهم بهاته الأخيرة هلعا كبيرا بأهلها، ولم يعرفوا ما حل بهم، فقتل النورمان منهم ما لا يعد ولا يحصى وغنموا الكثير، واستمر ذلك لمدة سبعة أيام ثم اتجهوا غربي اشبيلية، فعسكروا في قرية طلياطة (Taliata)، وما إن علم الأمير عبد الرحمان بما حل بأهل اشبيلية حتى جد في نجدتهم والانتقام لهم من النورمان، فسير إليهم جيشا يقوده حاجبه" عيسى بن شُهيد"، ووصل المتطوعة من كل حدب وصوب. وفي 25 صفر 230هـ ، كان اللقاء الحاسم بين الجيشين، وبعد قتال عنيف ومعارك ضارية: انتصر المسلمون، وقتلوا الكثير من النورمان، ومن بقي حيا فقد تحصن داخل السفن، وأخذوا يتراجعون إلى الوراء والمسلمون يلاحقونهم حتى وصلوا الى لشبونة، ومنها عادوا أدراجهم[4].

وبعد تلك المحنة الأليمة التي حلت بالمسلمين، فكر عبد الرحمان الثاني في ضرورة تحصين المدن وبناء الأسوار، وإقامة أسطول بحري قوي من شأنه صد الغزاة الخارجين، كما أنشأ الرُبط في المناطق القريبة من المحيط. وتذكر الروايات أن الأمير الأموي أمر ببناء سور لإشبيلية، وأسس بها دار لصناعة السفن" واستعد الأمير عبد الرحمان بن الحكم فأمر بإقامة دار صناعة بإشبيلية وأنشأ المراكب، واستعد برجال البحر من سواحل الأندلس فألحقهم ووسع عليهم فاستعد بالآلات والنفط"[5].

كما تذكر بعض الروايات أنه بعد الهزيمة التي مني بها النورمان أمام الجيش الاسلامي، بعث ملكهم هوريك(Horic)رسله إلى الأمير الأموي عبد الرحمان الثاني يطلب منه عقد معاهدة صلح

---

1 ابن حيان(أبو مروان حيان): المقتبس من رجال أهل الأندلس ، السفر الثاني، حققه وعلق عليه محمود علي مكي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، 2002م، ص 451.

2 – المصدر السابق، ج2، ص 87.

3 – مدينة بجنوب غرب قرطبة، مواجهة للمحيط الأطلسي، بناها الإمبراطور الروماني يوليوس قيصر، ومما يتداول ان اسمها مشتق من كلمة " أشبالي " التي تعني باللاتينية المدينة المنبسطة. عرفت بكثرة أشجارها، ورواج تجارتها، واعتدال مناخها. (انظر: الإدريسي، المصدر السابق، ص 541؛ الحميري، المصدر السابق، ص59).

4 – ابن حيان، المصدر السابق، ص 452-453؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص 87.

5 – ابن القوطية (محمد بن عمر): تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق ابراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط2، 1989م، ص 82.

وسلام، فوافق عبد الرحمان على ذلك، وبعث إليه كاتبه الشهير يحي الغزال(ت250هـ/864م). وبعد سنة ونصف من الغياب عاد يحي، ومن يرافقه ومعه كتاب من الملك النورماني[1].

2- الحملة الثانية (245هـ/ 860م):

في سنة 245هـ/ 860م، وصل النورمان في ثمانين سفينة إلى شبه الجزيرة الأيبيرية، وقد اختلفت ظروف حملتهم هذه عن الحملة السابقة، حيث وجدوا المسلمين قد بنوا أسوار المدن، وأنشأوا أسطولا بحريا قويا، وأصبحوا على أهبة الاستعداد لرد أي غزو خارجي مفاجئ، وظهر ذلك عندما هزموا الجيش النورماني في مدينة باجة(Beja)[2]، وافتكوا منه سفينتين محملتين بالغنائم. وبعد تلك الهزيمة سارت السفن النورمانية غربا حتى اقتربت من الجزيرة الخضراء(Algeciras[3])، وعندما علم بهم قائد الأسطول الاسلامي سار لملاقاتهم، فاقتتل الجيشان في معركة انتهت لصالح المسلمين، وبعد ذلك استطاع الجيش النورماني مباغتة الجيش الاسلامي من الجهة الغربية وقتل القائد المسؤول عنها وهو " حشحاش"، وسهل هذا النصر دخول النورمان إلى الجزيرة الخضراء، فخربوها وأحرقوا مسجدها، وقتلوا وسبوا الكثير من أهلها، وبعد الجزيرة الخضراء سار الأسطول النورماني نحو الساحل الجنوبي للأندلس، فدخل وخرب الكثير من مدنه كأوريولة وتدمير(Tudmir)، وتقابل النورمان مع الجيش الاسلامي في العديد من المعارك، انتصر المسلمون في أغلبها، وامام تناقص سفنهم ومؤنهم، قرر النورمان العودة من حيث أتوا[4]. ويرى ابن حيان أن النورمان بالرغم من بعض الانتصارات التي حققوها في حملتهم الثانية هذه، والخراب الذي الحقوه ببعض المدن الاسلامية، فإن هذه الحملة لم تكن أشد مثل الاولى، وذلك بسبب التحصينات والاستعدادات التي قام بها الأمير الأموي. وعبر عن ذلك بقوله:" فلم يكن لهم في هذه الكرة الانبساط في البحر، والاضرار بأهل السواحل ما جرت به عاداتهم، ولم يجدوا في السواحل مطمعا لشدة ضبطها، ولاقوا مع ذلك من البحر هولا عَطبت له من أربعة عشر مركبا

1 - للاطلاع على ذلك.(انظر: عبد الله عنان، الأندلس من الفتح حتى نهاية عهد الناصر، ص 284).

2- تقع غرب قرطبة، وهي واحدة من اقدم المدن في شبه الجزيرة، يقال انها تعني في لغة العجم "الصلح". عرفت بحصانتها ومنعاتها، واليها ينسب الكثير من اهل العلم كأبي الوليد الباجي.(انظر: الحميري، المصدر السابق ص 75).

3 - مدينة بجنوب قرطبة بالقرب من جبل طارق، وهي أول مدينة فتحها المسلمون. عرفت بخيراتها البرية والبحرية، وبطيبة اهلها.(انظر: الحميري، المصدر السابق ص 223-224).

4 - ابن عذاري، المصدر السابق، ج2،ص 96؛ عبد الله عنان، الأندلس من الفتح حتى نهاية عهد الناصر، ص 262.

بناحية البحيرة من الجزيرة، فنكبوا عن حائط الأندلس واعتلوا إلى جهة الفرنجة، فلم يَلقوا ظَفرا، وأسرعوا الانصراف إلى بلدتهم بالخيبة، فلم تكن لهم بعد الأندلس إلى يوم عودة"[1].

وبعد تلك الحملة حاول النورمان عدة مرات دخول المدن الأندلسية، لكن البحرية الاسلامية حالت دون ذلك، خاصة في عهد عبد الرحمان الناصر[2] (316-350هـ/928-961م)وابنه الحكم المستنصر(350-366هـ/961-976م)، اللذان عمل على تتبع كل صغيرة وكبيرة عن النورمان وعن تحركاتهم، وبذلك زال الخطر النورماني على بلاد الأندلس.

1 – ابن حيان، المصدر السابق، نقلا عن عبد الله عنان، الأندلس من الفتح حتى نهاية عهد الناصر، ص 297.

2 – هو عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط سابع أمراء بني أمية في الأندلس. ولد في قرطبة سنة 277هـ/890م، أمه ماريا الاسبانية. تولى الحكم في مرحلة كانت تعيش فيها بلاد الأندلس حالة من الفوضى ولا استقرار، لكنه استطاع بحكمته أن يقضي على كل أشكال التمرد والفتن، ودانت له الأندلس كلها. وفي سنة 316 هـ/ 928م، اتخذ لقب الخليفة فكان أول أمير أموي تلقب بذلك. (انظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 176 وما بعدها من الصفحات؛ المقري، المصدر السابق، ج1، ص 353 وما بعدها من الصفحات؛ ابن الأبار، الحلة، ج1، ص 197-199).

المحور الرابع: العلاقات بين المسلمين والعالم المسيحي في عهد الخلافة الأموية

أولا– العلاقات العسكرية

1– مع مملكة ليون:

في الوقت الذي تولى فيه عبد الرحمن الناصر الحكم، اعتلى عرش مملكة ليون واحد من أشهر الملوك في تاريخها وأشجعهم هو أوردنيو الثاني(912– 924م) الذي شابه والده ألفونسو الثالث في الكثير من الخصال. وبعد توليه الحكم مباشرة، سير أوردنيو الثاني حملة عسكرية اتجاه مدينة ماردة(Merida)[1]، نجح من خلالها في دخول حصنها(حصن الحنش)، وتخريبه وقتل الكثير من سكانه، وبهذا الحصن أنشأ كنيسة حملت اسم كنيسة القديسة ماريا(Santa Maria). وانتقاما لذلك سير الأمير عبد الرحمان الناصر سنة 304هـ/916م، حملة عسكرية اتجاه مملكة ليون نجحت في اختراق أراضيها، وكانت أول حملة عسكرية يوجهها الأمير الأموي اتجاه مملكة ليون منذ توليه الحكم[2].

وكان من نتائج الانتصارات العسكرية التي حققها أوردنيو الثاني أمام المسلمين، تحالفه مع الممالك المسيحية الأخرى، وهو ما زاد في قوته، وتجلى ذلك في حملاته المتتالية على مدن الثغر الأعلى، وكرد فعل على ذلك أرسل عبد الرحمان الناصر سنة 306هـ/918م، حملة عسكرية يقودها قائده " ابن أبي عبيدة" اتجاه مملكة ليون، ونجحت هذه الحملة في هزيمة الجيش الليوني في معركتين شهيرتين[3].

---

1 – مدينة بشمال غرب قرطبة، كانت مقصد للملوك القدامى، ويقال أنها تعني في اللغة اللاتينية " مسكن الأشراف"، اشتهرت بسورها كما اشتهرت بدار بها تسمى دار الطبيخ. (انظر: الحميري، المصدر السابق، ص 518).

2 – ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص 170؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 182؛ رينهرت دوزي، المسلمون في الأندلس، تح حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994م، ج2، ص 23؛ عبد الله عنان، الأندلس من الفتح حتى نهاية عهد الناصر، ص 393.

3 – ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص 172؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 182؛ عبد الله عنان، الأندلس من الفتح حتى نهاية عهد الناصر، ص 395.

وبعد وفاة أوردنيو الثاني سنة 924م، قامت حرب أهلية داخل مملكة ليون، انتهت بتولي راميرو الثاني(932-951م) الحكم. وبعد ذلك مباشرة، ومثل الملوك الذين سبقوه فقد عمل راميرو على اثارة الفتن ضد الناصر، وتدعيم الخارجين على حكمه خاصة ابن حفصون وأمراء الثغر الأعلى. وبعد قضائه على كل تلك الفتن والثورات، وتوحيد الجبهة الشرقية، اشتغل عبد الرحمان الناصر بمحاربة عدوه الأخطر راميرو الثاني، حيث تذكر الروايات الأجنبية والعربية أن عبد الرحمان الناصر، وجه في سنة 327هـ/939م، حملة عسكرية أسند قيادتها لفتاه " نجدة الصَقلبي" اتجاه مملكة ليون، وفي مكان يسمى بالخندق[1] بالقرب من سلمنكة(Salamanca)،كان اللقاء الحاسم بين الجيشين، وانتهت المعركة بهزيمة مخزية تلقاها الجيش الاسلامي، حيث بلغ عدد القتلى قرابة 45ألف قتيل، وكان من نتائج تلك الهزيمة ازدياد الحماس الديني بالنسبة للمسيحيين[2].

اختلفت الآراء حول سبب تلك الهزيمة، وما يتفق عليه أن ازدياد الحركات الانفصالية كتحالف بني تجيب أمراء الثغر الأعلى مع المسيحيين، واعتماد الناصر على العنصر البربري والصقلبي وتهميشه للعنصر العربي كان سببا مباشرا في تلك الهزيمة[3]، وبعدها قرر عبد الرحمان الناصر استئناف نشاطه العسكري ضد مملكة ليون، وما ساعده هذه المرة هو اضطراب الأوضاع داخلها بعد وفاة ملكها راميرو الثاني، فوجه إليها العديد من الحملات العسكرية نجحت في تخريب العديد من المدن واسترجاع بعض الحصون. وبعد أن تولى أردونيو الثالث(966-982م) الحكم ونظرا لما كانت تشهده المملكة من ثورات وفتن داخلية، فقد طلب هذا الأخير من عبد الرحمان الناصر عقد معاهدة صلح وسلام، فوافق الناصر على طلبه، خاصة وأنه كان يعيش نفس الظروف التي كان يعيشها الملك الليوني(التهديد الفاطمي). وفي سنة 344هـ/955م، وقع الطرفان على المعاهدة، وكان أهم ما جاء فيها:

1 - هناك اختلاف بين الروايات العربية والأجنبية حول مكان المعركة. لمزيد من المعلومات حول ذلك.(انظر: عبد الله عنان، الأندلس من الفتح حتى نهاية عهد الناصر، ص 414؛ رجب عبد الحليم، المرجع السابق، ص 223).

2- لمزيد من المعلومات حول تلك المعركة الحاسمة في تاريخ العلاقات بين المسلمين والممالك النصرانية.(انظر: عبد الله عنان، الأندلس من الفتح حتى نهاية عهد الناصر، ص 414-420).

3 - رجب عبد الحليم، المرجع السابق، ص 224.

تنازل أردونيو الثالث ملك ليون على بعض الحصون لعبد الرحمان الناصر[1]، لكن المعاهدة نقضت بتولي سانشو(956-966م) حكم مملكة ليون، حيث رفض هذا الأخير التنازل عن الحصون التي تنازل عنها أردونيو الثالث لصالح عبد الرحمان الناصر، فسير إليه هذا الأخير حملة عسكرية سنة 346هـ/ 957م، نجحت في هزيمة جيشه، ولم يمض الكثير حتى عزل سانشو عن الحكم(كان يعاني من مرض السمنة المفرطة)، وتولى أحد مقربي أمير قشتالة بدلا عنه، فلجأ سانشو إلى جدته طوطة(Tota)ملكة نفار، وفي ظل تلك الظروف الصعبة لم تجد طوطة من حل سوى الاستنجاد بالخليفة عبد الرحمان الناصر لإعادة حفيدها إلى عرشه، فأرسلت إليه سفارة في سنة 347 هـ/958م، تطلب مساعدته، فقبل الناصر طلبها، وأرسل جيشا إلى ليون نجح في إعادة سانشو إلى الحكم كما بعث إليه أشهر أطبائه وهو"حسداي بن شبروط" ليعالجه من مرضه[2].

ثانيا: العلاقات الدبلوماسية

1- خارج شبه الجزيرة الأيبيرية

كان من نتائج التفوق السياسي والعسكري الذي أحرزه الخليفة الأموي عبد الرحمان الناصر أن ذاع صيته، وأخذت الرسل تصل إليه من داخل شبه الجزيرة وخارجها، ومن السفارات التي وصلته نذكر:

1.1- سفارة ملك الفرنجة لويس الرابع:

في سنة 342هـ/952م، بعث ملك الفرنجة لويس الرابع(Louis)(920-954م) سفارة إلى الخليفة عبد الرحمان الناصر، وذلك من أجل ابرام معاهدة صلح وسلام معه، وقد أراد لويس الرابع من

1- ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص 321؛ عبد الله عنان، الأندلس من الفتح حتى نهاية عهد الناصر، ص 422؛ رجب عبد الحليم، المرجع السابق، ص 226.

2 - ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص 321؛ رينهرت دوزي، المرجع السابق، ج2، ص 51؛ عبد الله عنان، الأندلس من الفتح حتى نهاية عهد الناصر، ص 423.

خلال هذه المعاهدة التأكيد على المعاهدة التي عقدها الأمير الأموي محمد مع شارل الأصلع سنة 250هـ/864م، كما أراد من خلالها ضمان عدم شن الخليفة أية حملة اتجاه أراضيه حتى يتفرغ لمشاكله الداخلية[1].وقد عبر ابن خلدون على تلك السفارة بقوله:" ثم جاء رسل ملك .....وآخر من ملك الفرنجة بقاصيه المشرق وهو يومئذ كلدة(قارلة)"[2].

2.1– سفارة الإمبراطور الألماني أوتو(Otto) العظيم:

ومن السفارات التي وصلت الخليفة عبد الرحمان الناصر من العالم المسيحي كذلك سفارة أتو العظيم(936- 973م) إمبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة(الامبراطورية الألمانية)، التي ترأسها يوحنا الجورزيني(Jean Gorze) أحد أشهر رجال بلاط أوتو، وقد حمل هذا الأخير رسالة من سيده إلى الخليفة الناصر يحتج من خلالها على الحملات البحرية التي شنها بعض المسلمين على سواحله الجنوبية (جنوب ايطاليا)[3]، ونظرا لما أظهره هذا السفير من تصرفات مشينة رفض الخليفة الأموي استقباله، وبعث كرد فعل على ذلك سفارة إلى الامبراطور الألماني ترأسها مبعوثه الشهير المستعرب ريكوموندو(Recumundo) سنة 345هـ/956م، وعند وصوله استقبله أوتو بحفاوة كبيرة، وبعث رسالة معتدلة إلى عبد الرحمان الناصر، كما كتب إلى مبعوثه السابق يوحنا رسالة يتوعده فيها ويطلب منه العدول عن تصرفاته السابقة، والجد في عقد معاهدة صلح وسلام مع الخليفة الناصر والوصول معه إلى نتيجة فيما يخص غزوات المسلمين البحرية[4]. وقد تحدث ابن خلدون عن تلك السفارة

1 –عبد الرحمان علي الحجي، العلاقات الدبلوماسية الأندلسية مع أوربا الغربية خلال المدة الأموية، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2004م، ص 184.

2 – المصدر السابق، ج4، ص 183.

3 – يرى بعض المؤرخين أن سبب قيام علاقات دبلوماسية بين عبد الرحمان الناصر والإمبراطور الألماني أوتو هو مستوطنة فراكسنيتوم(Fraxinetum) ، التي أسسها المسلمون بجنوب فرنسا وبالحدود مع ايطاليا التي كانت تابعة في تلك الفترة للإمبراطورية الألمانية، وقد شكل هؤلاء المسلمون خطرا على تلك البلاد وظلوا على اتصال بمسلمي الأندلس، وهو ما دفع بأوتو للاتصال بالخليفة الأموي عبد الرحمان واقامة علاقات دبلوماسية معه اتقاء لشر هؤلاء. لمزيد من المعلومات حول ذلك. (انظر: عبد الرحمان علي الحجي، المرجع السابق، ص 273-275).

4 – لمزيد من المعلومات حول تلك السفارة واحداثها.(انظر: عبد الرحمان علي الحجي، المرجع السابق، ص 275-295).

وأحداثها بقوله:" ثم جاء رسل ملك الصقالبة (الأباطرة الألمان تذكرهم المصادر العربية بالصقالبة) وهو يومئذ هوتو(أوتو) وآخر من ملك اللمان(الألمان)...وبعث مع رسل الصقالبة ريفا الأسقف الى ملكهم هوتوا ثم رجعوا بعد سنتين"[1]. وكان من نتائج تلك السفارات المتبادلة بين العاهلين أن تعرف أوتو وسفراؤه على الحضارة الاسلامية في الأندلس، وبينت اطلاع الخليفة الناصر على كل ما يجري سواء داخل شبه الجزيرة أو خارجها.

3.1- سفارة الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع(944- 955م) :

ومن أشهر السفارات التي وصلت الخليفة عبد الرحمان الناصر، وأسهبت المصادر العربية في ذكرها :سفارة الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع، التي بعثها سنة 336هـ/948م، وقد ذكرت المصادر العربية أن الخليفة الأموي عبد الرحمان استقبل هذه السفارة أحسن استقبال، وهيأ لمبعوثي الامبراطور البيزنطي كل الظروف منذ وصولهم إلى غاية عودتهم، كما أقام لهم حفلا بهيجا، وأراد الطرفان من خلال هذه السفارة إرساء دعائم الصلح والسلم بينهما، وتبادل العلوم والخبرات في شتى المجالات. وبعد سنة قضاها رسل الامبراطور البيزنطي عند الخليفة الناصر عادوا إلى بلادهم، وأرسل معهم هذا الأخير أحد رجاله يحمل كتابه إلى الإمبراطور البيزنطي. وذكر ابن خلدون تلك السفارة بقوله:" ووفدت عليه رسل صاحب القسطنطينية وهديته وهو يومئذ قسطنطين بن ليون بن شل، واحتفل الناصر للقائم في يوم مشهود، وكتب فيه العساكر بالسلاح في أكمل هيئة وزي، وزين القصر الخلافي بأنواع الزينة وأصناف الستور، وجمل السرير الخلافي بمقاعد الأبناء والإخوة والأعمام والقرابة، ورتب الوزراء والخدمة في مواقفهم، ودخل الرسل فهالهم ما رأوا وقربوا حتى أدوا رسالتهم"[2].

1 - المصدر السابق، ج4، ص 183.

2 - نفسه.

2- داخل شبه الجزيرة الأيبيرية:

1.2- سفارة أوردونيو الثالث ملك ليون:

رأينا سابقا أنه في الوقت الذي تولى فيه أردونيو الثالث الحكم، عرفت المملكة العديد من الفتن والثورات الداخلية، أثرت بشكل كبير على استقرار المملكة وتوسعها، واتقاء لخطر المسلمين خاصة في تلك الفترة التي عرفت فيها الدولة الاسلامية قوة وتوسعا بفضل شجاعة وحنكة الخليفة عبد الرحمان الناصر، قرر الملك الليوني ضرورة عقد معاهدة صلح وسلام مع الخليفة الأموي عبد الرحمان، فبعث إليه سفارة سنة 344هـ/955م، يعرض عليه ذلك، فوافق الناصر على طلبه، وفرض عليه التنازل على مجموعة من الحصون المهمة فقبل أردونيو ذلك وسحب منها قواته.

2.2- سفارة ملكة نفار طوطة:

ومثلما قام به ملك ليون أردونيو الثالث قامت به ملكة نفار، وذلك عندما أرسلت سفارة إلى الخليفة عبد الرحمان الناصر تعرض عليه ابرام معاهدة صلح وسلام، وتعهدت من خلال سفارتها هذه بعدم مد يد العون لأي مملكة نصرانية في حربها مع المسلمين، كما تعهدت بإطلاق سراح الأسرى المسلمين الموجودين في سجونها، فقبل الناصر طلبها. وعندما عُزل حفيدها سانشو عن عرش مملكة ليون، والأحداث التي وقعت في تلك الفترة فلم تجد ملكة نفار من سبيل سوى الاستنجاد بالخليفة الأموي، لمعرفتها بمدى قوته ونفوذه داخل شبه الجزيرة، فقبل الناصر طلبها، وتأكيدا على ذلك فقد حضرت الملكة بنفسها إلى قرطبة رفقة ابنها وحفيدها سانشو، وكان ذلك سنة 347هـ/ 958م، فاستقبلهم الناصر أحسن استقبال، وبعد ذلك أرسل جيشا نجح في إعادة سانشو إلى عرشه كما بعث إليه بطبيبه حسداي ليعالجه من مرضه[1].

1 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 183؛ عبد الرحمان علي الحجي، المرجع السابق، ص 112؛ رينهرت دوزي، المرجع السابق، ج2، ص 53.

3.2- سفارة أمير قطلونية سنيفرد(Snifred)(911-947م):

أثارت حملات الناصر البرية والبحرية خاصة حملته البحرية على برشلونة سنة 331هـ/ 942م، مخاوف الأمير القطلوني سنيفرد، فأرسل إليه سفارة يعرض عليه عقد معاهدة صلح وسلام فرحب الناصر بذلك. وفي نفس السنة، سار الأمير القطلوني إلى قرطبة، ووقع مع عبد الرحمان الناصر المعاهدة، وكان من أهم بنودها: أن يلتزم سنيفرد بالولاء والطاعة، وأن لا يقدم أي مساعدة للممالك النصرانية في صراعها مع المسلمين، فواق الأمير القطلوني على طلبه. وبعد ذلك ولما رأى أمراء برشلونة رسل الممالك المسيحية الأخرى تتوافد على قرطبة لعقد معاهدات الصلح، هرعوا هم كذلك لتجديد معاهدة الصلح السابقة، وبقيت المراسلات قائمة بين الطرفين حتى وفاة الخليفة المستنصر الذي تولى الحكم بعد وفاة والده الناصر[1].

1 - المقري، المصدر السابق، ج1، ص 384-385؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 183؛ عبد الرحمان علي الحجي، المرجع السابق، ص 122؛ رجب عبد الحليم، المرجع السابق، ص 257.

المحور الخامس: علاقة الدولة العامرية بالممالك النصرانية

1- ظروف تولي محمد بن أبي عامر (المنصور)الحكم:

بعد وفاة الخليفة الأموي عبد الرحمان الناصر، خلفه في الحكم ابنه الحكم المستنصر، وقد سار هذا الأخير على نفس سياسة والده فيما يخص محاربة النصارى وكسر شوكتهم حتى أتته رسلهم طائعة[1]. وعبر المؤرخ الاسباني بيدال عن ذلك بقوله:" وصلت الخلافة الأندلسية في ذلك العصر إلى أوج روعتها، وبسطت سيادتها السلمية على سائر اسبانيا، وكفلت بذلك السكينة العامة"[2]. كما امتاز عصر المستنصر بازدهار العلوم والآداب ازدهارا كبيرا لم يشهده المسلمون من قبل، وأقام مكتبة اعتبرت أعظم مكتبة في ذلك العصر بسبب غناها بالكتب التي جلبها المستنصر من كل مكان. وقبل وفاته، ولما أحس المستنصر بدنو أجله بسبب ما كان يعانيه من أمراض ومن أجل تأمين العهد لابنه هشام، قام بأخذ البيعة له وكان ذلك في جمادى الثانية 365هـ/976م[3].

وبعد وفاة المستنصر سنة 366هـ/976م، انتقل الحكم لابنه هشام الذي لقب بالمؤيد بالله، وبسبب صغر سنه حيث لم يكن يتجاوز الحادية عشرة من عمره، وبسبب خلل واضطراب في عقله، قرر رجال الدولة تشكيل مجلس يتولى الوصاية على الخليفة الجديد حتى يكبر، فاتفقوا على جعفر المصحفي كوزيرا للدولة، وغالب الناصري قائدا للجيوش، ومحمد بن أبي عامر(366- 392هـ / 976م- 1001م)[4] صاحب الشرطة(قائد). ولم يمض الكثير وبسبب ذكائه وحنكته وبمساعدة صبح البشكنسية والدة هشام المؤيد، تخلص ابن أبي عامر من كل منافسيه، ثم حجر على الخليفة

1 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 187؛ المقري، المصدر السابق، ج1، ص 383-385.

2- عبد الله عنان، الأندلس من الفتح حتى نهاية عهد الناصر، ص 491.

3 - ابن عذاري، المصدر السابق، ج2، ص 353؛ المقري، المصدر السابق، ج1، ص 385-386.

4 - هو محمد بن عبد الله بن أبي عامر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك المغافري ، ولد سنة 327هـ / 948م.دخل جده عبد المالك المغافري الأندلس مع طارق بن زياد .(انظر: ابن عذاري، المصدر السابق، ج2 ، ص 356؛ ابن خلدون ،المصدر السابق ، ج 4 ، ص 189).

هشام المؤيد ولم يسمح لأحد برؤيته[1]. وعبر ابن خلدون على شجاعة محمد بن أبي عامر وكيفية تخلصه من خصومه بقوله:" ثم تجرد لرؤساء الدولة ممن عانده وزاحمه، فمال عليهم، وحطهم عن مراتبهم، وقتل بعضهم، كل ذلك عن أمر هشام وتوقيعه، حتى استأصل شأفتهم ومزق جموعهم"[2].

2- علاقة المنصور محمد بن ابي عامر بالممالك النصرانية

1.2- علاقته بمملكة ليون:

وبعد أن استقرت الأوضاع الداخلية لابن أبي عامر وقضاؤه على كل منافسيه، قرر استئناف الحرب ضد الممالك النصرانية، وقد ذكرت المصادر العربية أن المنصور بن أبي عامر خاض أكثر من خمسين غزوة بنفسه اتجاه الممالك النصرانية لم تسقط له فيها راية، وأهم ما ميز غزواته هذه أنها كانت هجومية وهو المبادر فيها، عكس الحرب التي خاضها أسلافه والتي كانت في معظمها حربا دفاعية. وعبر ابن خلدون عن ذلك بقوله:" وردد الغزو بنفسه إلى دار الحرب فغزا اثنين وخمسين غزوة في سائر أيام ملكه لم تنكسر له فيها راية ولا فل له جيش، ولا أصيب له بعث ولا هلكت له سرية"[3].

وكانت أول غزوة خاضها الحاجب المنصور ضد الممالك النصرانية سنة 366هـ/976م، وجاءت هذه الغزوة كرد فعل عما قام به ملك ليون راميرو الثالث(966-982م)، عندما استغل فرصة وفاة الخليفة المستنصر وهاجم الأراضي الاسلامية المتاخمة لمملكته، ولما علم به المنصور ابن أبي عامر، سير حملة اتجاه جليقية نجح في دخول أشهر حصونها كما غنم وسبا الكثير، وكان للنصر الذي حققه ابن ابي عامر في حملته هذه دورا كبيرا في ذيوع صيته داخل شبه الجزيرة وخارجها[4]. وتوالت غزوات المنصور المخربة اتجاه مملكة ليون، ولما أدرك ملكها راميرو الثالث عجزه وعدم قدرته على مواجهة ابن

1 - ابن عذاري، المصدر السابق، ج2 ، ص 359؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 188-189.
2 - المصدر السابق، ج4، ص 189.
3 - نفس المصدر ، ج4، ص 190.
4 - ابن عذاري، المصدر السابق، ج2 ، ص 364.

أبي عامر تحالف مع فرناندو أمير قشتالة وسانشو ملك نفار، وسار المتحالفون لمواجهة المنصور، وفي مكان يسمى بـ " الروضة" في الجنوب الغربي من سيمنقة (Simancas) كان اللقاء الحاسم بين الطرفين، وانتهت المعركة بانهزام النصارى شر هزيمة، واستولى المنصور على قلعة المدينة وكان ذلك سنة 372هـ/982م. ثم سار المنصور ابن أبي عامر نحو مدينة ليون ولما وصلها ضرب عليها حصارا، لكنه لم ينجح في دخولها بسبب البرودة الشديدة والتساقط الكثيف للأمطار والثلوج (دخول فصل الشتاء)، وهو ما أجبره على رفع الحصار عنها والعودة إلى قرطبة[1].

وبعد الهزائم المتكررة التي مني بها الملك الليوني راميرو الثالث أمام الحاجب المنصور، قرر أشراف المملكة خلعه وعينوا ابن عمه برمودو خلفا له. وفي أكتوبر 982م، توج هذا الأخير ملكا على ليون، لكن راميرو الثالث لم يرض بذلك فدخل مع برمودو في حرب عنيفة لم تنته حتى وفاة راميرو الثالث سنة 984م، وأمام ازدياد حركات المعارضة ضده قرر برمودو طلب المساعدة من ابن أبي عامر، والدخول في طاعته، فقبل هذا الأخير عرضه، وأمده بالمؤن والجند لتثبيت عرشه، وبذلك أصبح ملك ليون تابعا للمنصور محمد بن أبي عامر[2].

وفي سنة 377هـ/987م، تجدد الصراع بين المنصور وبرمودو ملك ليون، وذلك بسبب قيام ملك ليون بطرد الحامية الاسلامية الموجودة في ليون، فسير المنصور حملة عسكرية ضده، نجح من خلالها في دخول مدينة قلمرية، ثم توالت غزوات المنصور على مملكة ليون، ونجح في تخريب العديد من حصونها، كما غنم وسبا من خلال هذه الغزوات الكثير. وبعد ذلك قرر المنصور أن يغزوا إقليم جليقية ويصل إلى أقصى منطقة فيه، لأنه يعتبر ملجأ لملوك ليون وبه واحد من أشهر المزارات وهو قبر

1 – العذري (أحمد بن عمر بن أنسي): نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد،1965م، ص 77-79؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج2 ، ص 365، 367؛ عبد الحليم رجب، المرجع السابق، ص 233؛ عبد الله عنان، الأندلس من الفتح حتى نهاية عهد الناصر، ص 541.

2 – عبد الحليم رجب، المرجع السابق، ص 235؛ عبد الله عنان، الأندلس من الفتح حتى نهاية عهد الناصر، ص 542.

القديس يعقوب(ياغو)(Santiago). كما أراد أن يثبت لأعدائه قدرته على خوض الحرب شمالا(الممالك النصرانية)وجنوبا(المغرب الاقصى). وفي جمادى الثاني 387هـ/جويلية 997م، سير المنصور واحدة من أشهر معاركه ضد النصارى في الشمال، وخلال مسيره نجح في دخول العديد من المدن وتخريبها إلى أن وصل مدينة سانت ياغو فوجدها خالية من سكانها فخربها، لكنه لم يتعرض لقبر القديس يعقوب، وبعدها سار نحو بعض المدن والتي كان أهلها موالين للملك برمودو فدخلهم وعاث فيهم، وبعد ذلك قرر العودة إلى قرطبة دون أن يستطيع أي شخص اعتراض طريقه[1].

2.2- علاقته مع مملكة نفار:

في سنة 370هـ/ 980م، وجه المنصور محمد ابن أبي عامر حملة عسكرية اتجاه مملكة نفار، وكان السبب في ذلك هو قيام ملك نفار سانشو بنقض معاهدة الصلح مع المسلمين بعد وفاة الخليفة الحكم المستنصر، ثم تحالفه مع غالب الناصري عدو ابن عامر، لكن المنصور هزمهم في حملته هذه، وقتل ابن ملك نفار، فأجبر هذا الأخير على عقد معاهدة صلح مع المنصور وبعث برسله اليه كما بعث بابنته لتكون زوجة له[2]. وبعد وفاة سانشو تولى الحكم ابنه غرسيه(994-1000م)، وتذكر المصادر الاسبانية أن غرسيه هذا كان ضعيف الشخصية ولم يشبه والده في الشجاعة وحسن التدبير، فدفعه ذلك إلى اقامة علاقات سلم وصداقة مع جيرانه سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين. وبعد وفاته انتقل الحكم إلى ابنه سانشو، وبسبب صغر سنه، أخذته والدته ذات الأصل القشتالي إلى قشتالة حيث تربى هناك، ولما شب زوجه أمير قشتاله سانشو غرسيه(990-1017م) ابنته ألبيرة (Alvira)، وفي سنة 1000م، توج ملكا على نفار وحمل اسم سانشو الأول أو سانشو الكبير(Sancho el Mayor)(1000-1035)[3].

1 - ابن عذاري، المصدر السابق، ج2 ، ص 394؛ المقري، المصدر السابق، ج1، ص 413؛ عبد الله عنان، الأندلس من الفتح حتى نهاية عهد الناصر، ص 559-561.

2 - عبد الحليم رجب، المرجع السابق، ص 246.

3 - نفس المرجع ، ص 247-248.

3.2- علاقته مع إمارة قشتالة:

كانت قشتالة عبارة عن مجموعة من الحصون والقلاع ومنها جاء اسمها (Castilla) التي تعني الحصون، أما عند المسلمين فقد عرفت بألبة والقلاع، وأصل سكانها من البشكنس. يعود سبب ظهورها إلى التوسعات التي قام بها ألفونسو الثالث ملك ليون جنوبا وشرقا، وقد انحصر دورها في البداية في حماية ليون من هجمات المسلمين، وتزعم كل قلعة من هذه القلاع أمير يدير شؤونها ويتمتع بنوع من الاستقلال الذاتي. ولم تلبث هذه القلاع أن اتحدت خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي بزعامة أقوى أمرائها وهو فرناندو غونثالث(Fernand Gonzalez)(ت970م)، واستقلت عن مملكة ليون وأصبحت تعرف بإمارة قشتالة. ثم أخذت في التوسع وضمت أبلة (Avila)، وسقوبية (sègire)، وشورية (Soria)، وبرغش (Burgos)، وتطورت هذه الأخيرة لتصبح عاصمة لمملكة قشتالة[1] .

ولما دب الضعف داخل الممالك النصرانية مع نهاية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، حملت قشتالة راية الحرب ضد المسلمين واستئناف حركة الاسترداد، وكان يحكمها في تلك الفترة واحد من أقوى الحكام في تاريخها وهو سانشو غرسيه(995-1017م)، الذي لقب بالإمبراطور، وحدثت أول معركة بينه وبين المنصور محمد بن أبي عامر في شعبان 390هـ/1000م، بجبل جربيرة وسط قشتالة، وكانت هذه المعركة من أصعب وأشد المعارك التي خاضها المنصور ضد الممالك النصرانية، وذلك بسبب حصانة المكان ومنعته، وكاد المنصور أن يهزم شر هزيمة فيها لولا ثباته وصبره وخبرته في مثل تلك المعارك، وقلب المنصور هزيمته إلى انتصار كبير[2].

وبعد تلك المعركة واصل المنصور غزواته المخربة في الأراضي القشتالية، ولم يستطع أي ملك أو أمير وقف تقدمه، وفي هذه الظروف اضطر الأمير القشتالي سانشو الى طلب الصلح والدخول في

1 - عبد الله عنان، الأندلس من الفتح حتى نهاية عهد الناصر، ص 590.

2 - نفس المرجع ، ص 562.

طاعة المنصور، فقبل هذا الأخير عرضه، وقدم بنفسه إلى قرطبة حيث استقبله المنصور استقبالا كبيرا أبهر الأمير القشتالي. وبعد ذلك أدرك المنصور بفضل خبرته وكفاءته خطر هذا الأمير على المسلمين مستقبلا فوجه اليه آخر حملة عسكرية كانت سنة 392هـ/1001م، عرفت بغزوة الدير، عاث من خلالها في الأراضي القشتالية وأثناء عودته من هذه الغزوة توفي المنصور بن ابي عامر ودفن بمدينة سالم، وكان ذلك سنة 392هـ/ 1001م[1].

4.2- علاقته بإمارة قطلونية:

عمل المنصور محمد بن أبي عامر منذ توليه الحكم على اخضاع كل من يعيش داخل شبه الجزيرة سواء كان مسلما أو مسيحيا، وفيما يخص غزواته اتجاه امارة قطلونية: ففي سنة 367هـ/978م، وجه المنصور أول حملة عسكرية اتجاه برشلونة، وسميت تلك الغزوة بغزوة الغابرة، وكانت في الأصل موجهة ضد مملكة نفار، ومنها خرجت حملة صغيرة اتجاه برشلونة. وبعد تلك الغزوة وجه المنصور حملتين اتجاه برشلونة نجحتا في تحقيق هدفهما، إلا أن أشهر حملة قادها المنصور اتجاه برشلونة كانت سنة 374هـ/986م، حيث التقى مع أميرها بوريل الثاني(Borrell) (947-992م)في مكان يسمى "بيغش" بالقرب من برشلونة، فهزمه المنصور ثم سار نحو برشلونة فخربها وأضرم النار فيها ثم عاد إلى قرطبة ظافرا[2].

وبعد وفاة المنصور، قاد ابنه عبد الملك المظفر حملة عسكرية اتجاه برشلونة بعد أن جهز لها جيشا شارك فيه الجنود من كل المناطق الأندلسية وحتى من بلاد المغرب، وقد غير المظفر خط سير حملته هذه، فسار نحو الثغر الأوسط، ومنه اتجه نحو الثغر الأعلى مرورا بسرقسطة حتى وصل برشلونة،

1 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 190؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج2 ، ص 301؛ عبد الله عنان، الأندلس من الفتح حتى نهاية عهد الناصر، ص 563-566.

2 - العذري، المصدر السابق، ص 81؛ المقري، المصدر السابق، ج1، ص413؛ عبد الله عنان، الأندلس من الفتح حتى نهاية عهد الناصر، ص 544؛

Lévi Provençal , Histoire De l'Espagne Musulmane , Maisonneuve et Larose , Paris , 1999, T.2 , p.238-239.

فاستولى على حصن منريسة، ثم اتجه نحو حصن بانيدس(Penedès)، فحاصره ثم استولى عليه، بعد أن هزم الحامية الموجودة به، كما قام بتخريب العديد من الحصون هناك، وقد غنم المظفر في حملته هذه الكثير، وعاد إلى قرطبة ومعه العديد من الأسرى وكان ذلك سنة 394هـ/1003م[1]. وبوفاة المظفر ينتهي عصر القوة بالنسبة للمسلمين في شبه الجزيرة وتدخل البلاد مرحلة من الضعف تؤدي في الأخير الى سقوط الدولة الأموية سنة 422هـ/ 1031م، وظهور عصر جديد هو عصر الطوائف.

1 – ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص 6 ؛ رجب عبد الحليم، المرجع السابق، ص 261؛ عبد الله عنان، الأندلس من الفتح حتى نهاية عهد الناصر، ص 610.

المحور السادس: ملوك الطوائف وعلاقتهم بالممالك النصرانية

أولا: الفتنة البربرية ودورها في ظهور عصر موك الطوائف:

بعد وفاة المنصور محمد بن أبي عامر انتقل الحكم الى ابنه عبد الملك (المظفر)، وقد سار هذا الأخير على نفس سياسة والده فيما يخص علاقته مع الممالك النصرانية والعمل على كسر شوكتهم، كما نجح في علاقته مع الرعية حتى وصفت أيامه بأنها أعياد، لكن فترة حكمه لم تستمر طويلا إذ توفي سنة 399هـ/1008م، فخلفه شقيقه عبد الرحمن الذي لقب بشنجول(نسبة لجده سانشو(شانجة)ملك نفار)، الا أن هذا الأخير لم يكن مثل شقيقه ووالده المنصور، فقد اشتهر بضعف الشخصية، وسوء التصرف خاصة عندما تقرب من الخليفة هشام المؤيد وأرغمه على أن يعهد له بالشرعية، وهو ما أثار سخط الأمويين، وقرروا التخلص منه[1]، وجاءتهم الفرصة عندما خرج شنجول في احدى غزواته وخلت قرطبة من القوات النظامية، فثار محمد بن هشام (المهدي)–حفيد عبد الرحمان الناصر–، واقتحم القصر، وأجبر هشام المؤيد أن يتنازل له عن الخلافة. أما عبد الرحمن شنجول فما إن علم بتلك الأحداث حتى عاد الى قلعة رباح[2] (Calatarabah) مختفيا لكن كشف أمره وأعدم في نفس السنة، وبذلك أسدل الستار على الدولة العامرية التي أسسها المنصور محمد بن أبي عامر[3].

ولما تولى المهدي الحكم أساء السيرة وقام باضطهاد وإجلاء الصقالبة والبربر عن قرطبة، فالتف هؤلاء البربر حول شخص من البيت الأموي، وهو سليمان بن الحكم بن سليمان بن عبد الرحمان الناصر وبايعوه ولقبوه بالمستعين، وبذلك أصبح بالأندلس خليفتان واحد في قرطبة وهو المهدي

---

[1] – ابن بسام الشنتريني (أبو الحسن علي): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان، 1997 م، ق4، ص 78 وما بعدها من الصفحات ؛ ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد): أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق ليفي بروفنسال،ط2 ، دار المكشوف، لبنان، 1956م، ص 90–96؛ ابن عذاري ، المصدر السابق، ج 3، ص37– 39.

[2]– قلعة رباح، مدينة بنيت أيام بني أمية . تقع بين قرطبة وطليطلة، وهي مدينة حسنة لها حصن حصين . (انظر ، الحميري ، المصدر السابق ، ص 469).

[3] – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 249؛ عبد الله عنان ، الخلافة الأموية والدولة العامرية ، ص 638.

والآخر خارجها وهو المستعين، وأصبح الصراع بينهما أمرا لا مفر، حيث اقتتل الطرفان في أكثر من معركة، وفي الأخير نجح المستعين في كسب الصراع وتولى الحكم منفردا وكان ذلك سنة 403هـ/1013م[1].

لكن الأوضاع لم تستقر للمستعين حيث عمت الفوضى، وأصبح نفوذه مقتصرا على قرطبة وما جاورها فقط، وما زاد الطين بلة هو وصول هؤلاء البربر الى مناصب مهمة كالحجابة والوزارة، ...الخ. وأصبح لهم نفوذ كبير داخل القصر، واسترضاء لهم واتقاء لشرهم، أقطعهم المستعين مدنا أندلسية، وكانوا ست قبائل رئيسية فأعطى قبيلة صنهاجة وزعماء بني زيري ولاية البيرة(Elvira)، وبني يفرن ولاية جيان(jaen)، وبني دمر وازداجة ولاية شذونة (Sadouna)، وأقر المنذر بن يحي التيجيبي على ولاية سرقسطة ، وولي بني حـــمود الأدارسة الجزيرة الخضراء وثغور المغرب الأقصى(سبتة، طنجة)[2]. إلا أن أشهر من تصدر المشهد السياسي، وكان له دور كبير في أحداث الأندلس في تلك الفترة هم بنو حمود، حيث بلغ بهؤلاء الطموح إلى التفكير في الوصول إلى الحكم بعدما وصله أشخاص ليسوا أحسن منهم، فأخذوا يعملون للإطاحة بالمستعين، وساعدتهم في ذلك مجموعة من الظروف، وفي الأخير دخلوا قرطبة وقتلوا المستعين وكان ذلك سنة 407هـ/1016م[3].

وبمقتل المستعين تبدأ سلسلة الخلفاء الحمودين الذي حكموا الأندلس، وكان أولهم علي بن حمود، لكنه قتل في نفس السنة التي تولى فيها، فخلفه القاسم بن حمود (408هـ- 412هـ / 1017م-1021م) ، وجاء بعده يحي بن حمود (412هـ - 413هـ / 1021م – 1022م) ، وخلفه أخوه القاسم بن حمود للمرة الثانية (414 هـ / 1023م). وفي عهده انتهت خلافة هذه الأسرة

1 - لمزيد من المعلومات حول الأحداث الكثيرة التي شهدتها الأندلس في تلك الفترة.(انظر: ابن بسام ، المصدر السابق ، ق1، ص 45 ؛ ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 100-113؛ ابن خلدون ، العبر ، ج 4 ، ص 151؛ عبد الله عنان ، الخلافة الأموية و الدولة العامرية ، ص 649-654).

2 - عبدالله عنان ، الخلافة الأموية و الدولة العامرية ، ص 653-654 .

3 - ابن بسام ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 38 ؛ ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص114-120 .

وعادت إلى بني أمية وتولاها عبد الرحمان الذي لقب بالمستظهر بالله(414هـ/1024م)لكنه قتل في نفس السنة التي تولى فيها، ثم خلفه محمد بن عبد الرحمان ولقب بالمستكفي بالله ولقي نفس مصير سابقه حيث قتل سنة 416هـ/1025م، ثم عادت الخلافة من جديد الى بني حمود وتولاها يحي بن حمود وفي عهده أفل نجم هذه الأسرة، لتعود إلى بني أمية[1]. لكن الأوضاع تدهورت وازدادت سوءا، وكره الناس هؤلاء الأشخاص الذين تولوا الحكم، وانتهى الأمر في سنة 422هـ/1031م، بعزل هشام الثالث (المعتد بالله)، وأعلن الوزير أبو الحزم بن جهور انهاء رسم الخلافة لعدم وجود من يستحقها، واسناد الأمر إلى الوزراء وصفوة الزعماء. وعبر ابن الخطيب عن ذلك بقوله:" ومشى البريد في الأسواق والأرباض بأن لا يبقى أحد بقرطبة من بني أمية ولا يكنفهم أحد"[2].

ثانيا: دويلات الطوائف:

بعد سقوط الدولة الأموية سنة 422هـ /1031م، فقدت الأندلس وحدتها السياسية، وانقسمت البلاد إلى دويلات مستقلة أطلق عليها المؤرخون اسم "دويلات الطوائف "، ويعرف حكامها بـ " ملوك الطوائف "، وهم ما بين زعيم قبيلة، أو صاحب نفوذ، أو حاكم لإحدى الكور أو وزير سابق، أو شيخ قضاء، وكل حاكم من هؤلاء يدّعي أنه ملك مقتدر، بل إن جميعهم تلقبوا بألقاب تدل على سعة الملك وعظمته، وقد قال ابن رشيق القيرواني يصف حالهم :

مما يزّهدني في أرض أندلس سماع مقتدر فيها ومعتضـــــد

ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخ صَورة الأسد[3]

فدخلت البلاد بذلك عصرً جديداً هو عصر ملوك الطوائف، أو عصر الفرق كما يسميه ابن

1 – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 122 ؛ ابن بسام ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 35 وما بعدها من الصفحات؛ ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص 135.

2 – أعمال الأعلام ، ص 139.

3 عبد الله عنان، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط4 ،1997م، ص15– 16.

الكردبوس[1]. وقد انقسمت الأندلس سياسيا إلى ست مناطق رئيسية هي : قرطبة وما حولها من المدن والبلاد الوسطى، طليطلة أو الثغر الأوسط. اشبيلية وما حولها من المدن الغربية والوسطى. غرناطة وما جاورها. شرق الأندلس أو منطقة بلنسية وما يحيط بها شمالا وجنوباً، سرقسطة أو الثغر الأعلى. هذا بالإضافة إلى المدن الأخرى التي استقلت بنفسها كإمارات صغيرة ثم زالت بضمها وخضوعها لإمارات أقوى منها. ويمكن تقسيم أولئك الملوك أو الأمراء إلى ثلاث فئات :1-ملوك الطوائف من العرب .2-ملوك الطوائف من البربر.3-ملوك الطوائف من الصقالبة[2] .

1- أشهر ملوك الطوائف من العرب

- بنو عباد اللخميون في اشبيلية:

أسس دويلة بني عباد بإشبيلية اسماعيل بن عباد اللخمي الذي كان قاضيا بالمدينة، حيث أنه خلال الفتنة البربرية وسوء تصرف القاسم بن حمود في حكم المدينة، قدم أهل إشبيلية اسماعيل بن عباد لتولي أمور المدينة، وطردوا ابن حمود، فاستغل ابن عباد الفرصة، وانفرد بالحكم ونصب نفسه ملكا. تعتبر دويلة بني عباد بإشبيلية أشهر وأقوى دويلات الطوائف، وكان أهم ما ميزها بالإضافة الى قوتها العسكرية: شهرتها الأدبية، حيث كان بلاطها يزخر بثلة من الشعراء أشهرهم ملكها المعتمد بن عباد[3].

1- ابن الكردبوس(أبو مروان عبد الملك التورزي): تاريخ الأندلس، تحقيق أحمد المختار العبادي، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد 13، 1965م ، ص 78 .

2 - أحمد المختار العبادي ، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، الإسكندرية ، 1997م ، ص 89-92؛ عبدالله عنان ، دول الطوائف، ص 17 .

3 - الحميدي ، المصدر السابق ، ص 23 ؛ ابن بسام ، المصدر السابق، ق2 ، ص14-15.

– بنو هود الجذاميون في سرقسطة:

تعتبر سرقسطة واحدة من أشهر وأقوى دويلات الطوائف، وذلك بالنظر الى قوتها العسكرية وشساعة مساحتها، وموقعها الخطير الذي يتوسط الممالك المسيحية الاسبانية. أما عن ظروف قيامها، فتذكر الروايات العربية أنه بعد مقتل المنذر بن يحي التجيبي سنة 430هـ/1038م، وسوء الأوضاع داخلها، تقدم أهل سرقسطة الى سليمان بن محمد بن هود الجذامي وهو واحد من أشهر القادة بها، وعرضوا عليه تولي شؤون المدينة، ومنذ تلك اللحظة أصبح ابن هود ملكا لسرقسطة[1].

– بنو جَهور في قرطبة :

رأينا فيما سبق أن الوزير ابا الحزم بن جهور قام في ذي الحجة عام 422هـ / 1031م، بعزل هشام الثالث(المعتد بالله)، معلنا عن سقوط الدولة الأموية بالأندلس. وبعد ذلك ونظرا لما امتاز به ابن جهور من فطنة وحسن التسيير، اتفق أهل قرطبة على توليه حكم المدينة. وتذكر الروايات العربية أن ابن جهور نجح في مهمته هذه، وذلك من خلال عودة الاستقرار داخل قرطبة، ورده للطامعين لغزوها فحمدت سياسته[2].

2– أشهر ملوك الطوائف من البربر :

– بنو مناد الصنهاجيين في غرناطة:

تنتسب أسرة بني مناد إلى قبيلة صنهاجة البربرية، وقد ظهر البربر منذ أيام المنصور محمد بن أبي عامر، الذي سمح لصنهاجة بالعبور إلى الأندلس والاستقرار فيها، ثم قربهم إليه وجعلهم عونا له وسندا وقلدهم الكثير الوظائف. ورأينا فيما سبق دور هؤلاء البربر في الأحداث التي شهدتها قرطبة بعد سقوط الدول العامرية، وكيف وقفوا مع المستعين في صراعه مع المهدي، فأراد المستعين أن يكافئهم، فأقطعهم مدنا وكورا للاستقرار فيها، فمنح صنهاجة وفي مقدمتهم زاوي بن زيري ورجاله

1 – ابن الأبار ، الحلة السيراء ، ج2 ، ص 246 ؛ ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 221.

2 – ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 186.

ولاية ألبيرة، وبعدها قرر زاوي بناء مدينة جديدة تكون أكثر حصانة ومنعة من ألبيرة، فكانت غرناطة هي مدينته الجديدة، وبمجرد الانتهاء من بنائها، انتقل زيري بن مناد إليها، وأصبحت عاصمة لدويلته، وقد كان لهؤلاء البربر دور كبير في الأحداث التي شهدتها قرطبة في تلك الفترة[1].

– بنو ذي النون في طليطلة :

تعتبر طليطلة من المدن المشهورة في الأندلس، حيث شكلت قاعدة للثغر الأوسط، وحاجزا منيعا في وجه الممالك المسيحية بشمال اسبانيا، وعقب الفتنة وقعت وما يلحق بها في حوزة بني ذي النون، وتولى اسماعيل بن ذي النون حكم المدينة أول مرة سنة 427 هـ/ 1036م، ثم خلفه ولده يحي سنة 435هـ / 1043م، وتلقب بالمأمون، وقد امتاز عهده بكثرة الحروب والمنازعات بينه وبين ملوك دول الطوائف كبني عباد وبني هود. وبعد وفاته تولى الأمر حفيده يحي بن ذي النون الملقب بالقادر، وتعد فترة حكمه فترة اختلال سياسي واضمحلال لقوة هذه المملكة مما أدى إلى سقوط طليطلة في يد ألفونسو السادس ملك قشتالة وليون في صفر 478هـ / ماي1085م[2] .

– دولة بني رزين في شنتمرية الشرق(Albarracin):

تعد مدينة شنتمرية الشرق احدى مدن الثغر الأعلى الذي كانت سرقسطة عاصمة له. وقد وقعت وما جاورها بعد الفتنة البربرية وسقوط الدولة الأموية بالأندلس في حوزة بني رزين الذين استقروا في تلك المنطقة منذ الأيام الأولى للفتح الاسلامي. يعتبر ابن هذيل بن عبد الملك أول من انفرد بحكم شنتمرية الشرق وأعمالها، وذلك أسوة بما فعله جاره اسماعيل بن ذي نون، وقد تلقب

1 – عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 120–124 .

2 – المقري ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 441 ؛ ابن خلدون ، العبر ، ج 4 ، ص 161 ؛ ابن بسام ، المصدر السابق ، ق4 ، ص 163 وما بعدها من الصفحات؛ عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 94.

بالحاجب عز الدولة، ثم خلفه ابنه أبو مروان بن هذيل، الذي تلقب بذي الرياستين الحاجب جبر الدولة [1].

3 – أشهر ملوك الطوائف من الصقالبة

– خيران العامري في ألمرية[2](Almeria):

بعد أن تولى المهدي الحكم قام الفتيان الصقالبة بمغادرة القصر والتوجه نحو الشرق الأندلسي، وذلك خوفا على أنفسهم مما سيفعله بهم المهدي، لأن هؤلاء الصقالبة ساندوا هشام المؤيد في العودة الى الحكم، ونصبوا المهدي ورجاله العداء. ومن هؤلاء الفتيان الذين غادروا قرطبة : خيران العامري، الذي سار أولا نحو أوريولة(Orihuela)فاستولى عليها، ثم سار نحو مرسية[3] (Murcia) فدخلها كذلك، ثم ولى وجهه نحو ألمرية التي كان يحكمها في تلك الفترة أفلح الصقلبي، فهاجمه خيران، واستولى على المرية وكان ذلك في 432هـ/1041م، ومنذ تلك اللحظة أصبحت ألمرية عاصمة لخيران، ومركز دعوة لهشام المؤيد[4].

– مجاهد العامري في دانية[5](Denia) والجزر الشرقية:

1 – ابن بسام، المصدر السابق، ق3 ، ص 84–85 ؛ ابن عذاري ، المصدر السابق، ج3 ، ص 307–309؛ عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 253.

2 – مدينة بالجنوب الشرقي من شبه الجزيرة محاذية للبحر المتوسط، أمر ببنائها الخليفة الأموي عبد الرحمان الناصر في سنة 344هـ . تقع بين مالقة ومرسية ؛ كانت من أهم المدن البحرية الإسلامية . (انظر: الحميري، المصدر السابق، ص 138) .

3 – مرسية مدينة شرق قرطبة، وجنوب بلنسية محاذية للبحر المتوسط بناها الأمير الأموي عبد الرحمن الأوسط ، وسماها تدمر نسبة لتدمر الشام، وقد عرفت بأشجارها، وحدائقها الخلابة، وإليها ينسب أبو غالب اللغوي المرسي. (انظر: الحموي، المصدر السابق، ج5، ص 107؛ الحميري، المصدر السابق، ص 539).

4 – ابن بسام ، المصدر السابق ، ق1 ، ص 43 ؛ عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 159.

5 – من أعمال بلنسية مقابلة للبحر المتوسط، بها مرسى عجيب يسمى السمان، وبها العديد من أنواع الأشجار المثمرة، ميناؤها من أشهر الموانئ الأندلسية التي كانت تقصده السفن، ومنها كانت تخرج لعمليات الغزو، وقد اشتهرت بدانية مجاهد العامري، الذي حكمها مع الجزر الشرقية بعد سقوط الدولة الأموية، وإليها ينسب الكثير من أهل العلم والدين أبرزهم ابن الصيرفي صاحب المؤلفات المتنوعة. (انظر: الحميري، المصدر السابق، ص 231–232؛ الحموي، المصدر السابق، ج3، ص 310).

ومن الفتيان الصقالبة الذي غادروا قرطبة بعد تولي المهدي حكمها: مجاهد العامري، حيث سار أولا نحو دانية فاستولى عليها، ومنها سار نحو الجزر الشرقية او جزر البليار(ميورقة، منورقة، يابسة) فاستولى عليها كذلك، وكان ذلك سنة 405هـ/1015م[1]. ومنذ ذلك الحين أصبحت دانية والجزر الشرقية أشهر دويلات الطوائف في الأندلس، ومن أشهر المدن البحرية في الحوض الغربي للمتوسط، فمنها(جزر البليار) أخذ مجاهد العامري يتوسع في ذلك الحوض، وقد توج نشاطه ذلك باستيلائه على جزيرة سردينيا، ثم صراعه مع الجمهوريات الايطالية بسبب توسعاته المتوسطية[2].

ثالثا: العلاقات السياسية والعسكرية بين ملوك الطوائف والممالك النصرانية:

يعتبر عصر ملوك الطوائف أسوء عصر عاشه المسلمون بالأندلس منذ أن وطأت أقدامهم أديم شبه الجزيرة الأيبيرية، حيث انقلبت فيه موازين القوى لصالح الممالك النصرانية في الشمال، وتعددت فيه مظاهر الضعف التي لا تعد ولا تحصى أهمها: استنجاد ملوك الطوائف في صراعهم مع بعضهم بملوك النصارى(قشتالةوليون، نفار، أراغون) حتى أصبح مصيرهم بأيدي أولئك النصارى، وأرغمهم هؤلاء على دفع الجزية مقابل ضمان بقاء دويلاتهم قائمة، ومن عجز عن دفعها فكان مصير دويلته السقوط، وخير مثال على ذلك القادر بن ذي النون صاحب طليطلة، حيث استغل ملك قشتالة ألفونسو السادس عجزه وضعفه وقام بالاستيلاء على مدينة طليطلة في صفر 478هـ / ماي 1085م، وكان لسقوط هذه المدينة المهمة أثر كبير على الوجود الاسلامي بشبه الجزيرة، وهو ما عبر عنه احد الشعراء بقوله:

يا أهل الاندلس حثو مطيكم فما المقام بها إلا من الغلــط

1- هناك اختلاف بين الروايات العربية حول ظروف استيلاء مجاهد العامري على دانية والجزر الشرقية، فالبعض يقول أن مجاهد العامري خرج من قرطبة مثله مثل الفتيان الصقالبة خلال الفتنة البربرية واتجه نحو دانية فاستولى عليها. وروايات أخرى تقول أنه كان حاكما لبلنسية، ولما تغلب عليه الفتيان مبارك ومظفر سار نحو دانية. لكن الرواية الأولى تبقى الأقرب إلى الصواب. لمزيد من المعلومات حول ذلك.(انظر: عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 189).

2- ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 3 ، ص 155-156 ؛عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص188.

الثوب ينسل من أطرافه وأرى ثوب الجزيرة منسولا من الوسط[1]

وقبل طليطلة فقد ارتكب ملك أراغون سانشو راميرز (Sancho Ramirez)(1063-1094م)، سنة 456هـ/1064م، مجزرة رهيبة في حق سكان مدينة بربشتر (Barbastro) بعد دخولها، وهذا إن على شيء فإنما يدل على الضعف السياسي والعسكري الذي كان عليه المسلمون في تلك الفترة. وعبر ابن بسام على تلك المجزرة بقوله:" فلما خرجوا نكلوا بهم، وقتلوا معا، ولم يطلقوا منهم غير قائدهم ابن الطويل، وقاضيهم ابن عيسى في نفر من الوجوه قليل عددهم، فحصلوا من غنائم بربشتر على ما لا يقدر حصره، زعموا أنه صار لأكبر رؤسائهم قائد خيل روما نحو ألف وخمسمائة جارية أبكارا كلهن، ومن أوقار الأمتعة من الحلي والكسوة والوطاء خمسة مئة حمل، وتحدث أيضا أنه أصيب في هذا القتل والسبي مائة ألف مسلم " [2].

وهكذا أخذت المدن الاسلامية تتهاوى الواحدة تلو الأخرى، فبعد طليطلة جاء الدور على واحدة من أشهر وأروع المدن الأندلسية وهي مدينة بلنسية التي سقطت في يد الفارس القشتالي رودريغو دياز دي بيفار(Rodrigo Diaz de Vivar)(السيد القمبيطور)،سنة 487هـ/1094م، بعد حصار دام أكثر من عشرين شهرا ذاق خلاله سكان المدينة وبال أمرهم [3]. وفي تلك الظروف وأمام اشتداد حركة الاسترداد الاسباني لم يجد هؤلاء الحكام الضعاف بدا سوى الاستنجاد بيوسف بن تاشفين الذي كان له الفضل في كبح تلك الحركة التي كان يقودها في تلك الفترة ألفونسو السادس ملك قشتالة وليون.

1 – ابن خلكان (شمس الدين أحمد بن محمد): وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، لبنان، د س ط، ج5، ص 27-28 ؛ المقري، المصدر السابق، ج1، ص441؛ عبد الله عنان، دول الطوائف ، ص188.

2 – المصدر السابق، ق3، ص 182.

3– لمزيد من المعلومات حول ذلك.(انظر: ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 34 ؛ ابن بسام ، المصدر السابق ، ق3 ، ص 98 ؛ عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 231وما بعدها من الصفحات؛

Alfonso el sabio , op.cit , p .587; Dozy reinhart , le cid d'après des nouveaux document .dans recherches sur l'histoire et la litterature de l' Espagne pendant le moyen àge , 3 èdition , layade , 1881 , vol 2 , p.179).

المحور السابع: العلاقات الحضارية بين المسلمين والممالك النصرانية

إن الباحث في تاريخ العلاقات بين المسلمين، والممالك النصرانية بشبه الجزيرة الأيبيرية يجد أن العلاقة بينهما لم تكن سياسية وعسكرية فقط، وإنما كان للجانب الحضاري حضورا كبيرا فيها، ولم يكن لتلك العلاقة أن تتم لو لم تكن هناك جسورا، أو قنوات انتقلت منها الحضارة الاسلامية أو المؤثرات الاسلامية إلى الشمال الاسباني.

أولا: جسور التواصل الحضاري بين المسلمين والممالك النصرانية:

1- اليهود:

تذكر الروايات المختلفة أن وجود اليهود في شبه الجزيرة الأيبيرية يعود إلى قرون خلت، وأنهم تعرضوا قبيل الفتح الإسلامي لشبه الجزيرة إلى كل أنواع الظلم، والاضطهاد والاستعباد من طرف القوط الغربيين، كما أرغموا على التنصر، كل ذلك دفعهم للعمل على الانتقام لأنفسهم مما سلطه عليهم هؤلاء، فأخذوا يستغلون الفرص، وكان الفتح الاسلامي لشبه الجزيرة أحسن فرصة انتظرها هؤلاء اليهود، حيث تذكر الروايات أن اليهود وقفوا مع المسلمين خلال عملية الفتح، وقدموا لهم خدمات كبيرة لفتح المدن التي استعصت عليهم بحكم اطلاعهم على خباياها[1]. وبعد الانتهاء من عملية الفتح، استخدم المسلمون هؤلاء اليهود في مختلف الوظائف، وعاشوا معهم في جو يسوده التسامح والتعايش السلمي، وكان لهم قاض خاص بهم، كما كانت لهم قوانينهم الخاصة بهم. ومع كثرة احتكاكهم بالمسلمين، فقد استعرب هؤلاء اليهود في لغتهم ولباسهم ومأكلهم ومشربهم. وتذكر المصادر العربية أن من اليهود من وصل إلى مكانة مرموقة عند المسلمين كالطبيب حسداي بن شبروط طبيب الخليفة الناصر، وابن النغريلة الذين كان وزيرا عند بني الزيري ملوك غرناطة[2].

[1] – حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 520.

[2] – ابن عذاري، المصدر السابق، ج3، ص 264.

كما امتهن اليهود الكثير من المهن والحرف، ومارسوا التجارة وكانوا عنصرا فعالا فيها، بالإضافة إلى قيامهم بترجمة الكتب العربية إلى اللاتينية، وذلك بحكم المامهم بمختلف اللغات وجعلوها في متناول الاسبان. وبذلك فقد كان هؤلاء اليهود أهم جسر في عملية التواصل الحضاري بين الطرفين[1]. إلا أنه خلال الضعف الذي أصاب المسلمين بداية من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، انتقل هؤلاء اليهود إلى خدمة الممالك النصرانية، وأصبحوا عونا لهم في حروبهم مع المسلمين[2].

2- النصارى المعاهدون (Mozarabes):

يسمون كذلك بالمستعربين، وهم النصارى الذين عاشوا مع المسلمين في المدن الإسلامية، وقد حافظوا على عاداتهم وتقاليدهم، ومارسوا حياتهم الدينية بشكل عادي، وكانوا يتكلمون اللغة العربية إلى جانب لغتهم الأصلية، وكان لهم رئيس خاص بهم وقاض مثلهم مثل اليهود ،كما شغلوا العديد من المناصب الهامة في الإدارة وفي بلاط الأمراء، كريكوموندو سفير الخليفة عبد الرحمان الناصر، وسيسندو دافيدس (Sisnando Davides)، الذي كان وزيرا للمعتمد بن عباد. وكان لهؤلاء المستعربين الحرية التامة في التنقل الى الشمال الاسباني متى شاءوا، وسهل لهم ذلك نقل كل ما أخذوه وتعلموه عند المسلمين سواء كان زراعة أو صناعة أو ملبس أو مأكل[3].

[1] – حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 522.

[2] – رجب عبد الحليم، المرجع السابق، ص 412.

[3] – لمزيد من المعلومات حول تلك الشريحة ودورها الحضاري والسياسي.(انظر: الحضارة العربية في الأندلس، تر سلمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998م، ج1، ص 309؛ عبد الله عنان، دول الطوائف، ص 409 وما بعدها من الصفحات).

3-المدجنون(Mudéjares):

هم المسلمون الأندلسيون الذين عاشوا في الأراضي والمدن التي استردها ملوك اسبانيا منهم، وقد أطلق عليهم المدجنون أي أهل الدجن، وأخذ هذا اللقب من قول دجن المكان أي أقام فيه. بقي المدجنون في مدنهم التي أخذت منهم، وقد حافظوا على عاداتهم وتقاليدهم ودينهم، ومع ازدياد حركة الاسترداد خلال القرن الثالث عشر الميلادي/السابع الهجري زاد عددهم كثيرا، وقد كان لهم دور كبير في الحياة الاقتصادية للممالك النصرانية بفضل خبرتهم في الصناعة والزراعة والتجارة، ولم يستطيعوا الاستغناء عنهم، ولكن مع مرور الوقت أخذت تلك الشريحة في الاختفاء والذوبان في المجتمع الاسباني[1].

4-الزواج المختلط:

منذ الفتح الاسلامي لشبه الجزيرة شاع زواج المسلمين من النصرانيات، وأول من خطى هذه الخطوة هو عبد العزيز بن موسى بن نصير عندما تزوج من ايلونا(Egilona) أرملة رودريغو ملك القوط، كما أن أمراء بني أمية لم يكن فيهم من كانت أمه حرة، فكلهم كانوا أبناء نصرانيات، كعبد الرحمان الناصر الذي كانت أمه نفارية تسمى(ماريا)، وتزوج ابنه الحكم المستنصر من أورورا(Aurora) البشكنسية (السيدة صبح)، وتزوج المنصور محمد بن أبي عامر من ابنة سانشو ملك نفار التي أهداها له. وتزوج ملوك الطوائف كذلك من نصرانيات كمجاهد العامري الذي تزوج نصرانية تسمى(جود). وقامت تلك النسوة بنقل عادات وتقاليد ومأكل ومشرب المسلمين إلى بلدانهن (الممالك النصرانية)، كما كان لذلك الزواج أثر في ظهور لغة جديدة سميت باللاطينية، وهي عبارة عن خليط بين اللاتينية والعربية[2]. ولم يقتصر الأمر على زواج المسلمين من نصرانيات، فقد سجلت لنا كتب التاريخ وجود حالات ولكنها شاذة حول زواج ملوك النصارى من مسلمات،

[1] – عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 4، 1997 م، ص 42.

[2] – رجب عبد الحليم، المرجع السابق، ص 418.

كألفونسو السادس ملك قشتالة وليون عندما تسمى من زائدة زوجة ابن المعتمد بن عباد، التي لجأت إليه بعدما علمت بما فعله المرابطين بالمعتمد بن عباد[1].

5- الأسرى والسبايا:

كان من نتائج الحرب بين الطرفين المسيحي والاسلامي وقوع أسرى وسبايا، وقبل القرن الخامس الهجري كان الأسرى والسبايا المسيحيون بكثرة بحكم أن الغلبة كانت في معظمها لصالح المسلمين، واستغل هؤلاء الأسرى فترة وجودهم في الأسر، فأخذوا في تعلم الكثير من الحرف والمهن وطرق العيش من المسلمين، وعند افتدائهم كانوا ينقلون كل ما تعلموه إلى بلادهم، وبذلك فقد ساهم هؤلاء في عملية التواصل الحضاري بين الطرفين[2].

ثانيا: مظاهر التأثير الحضاري بين الطرفين:

1- في الجانب الاجتماعي:

ظهر التأثير الاجتماعي بين الطرفين في العديد من المظاهر كالتسامح الديني، حيث أن المسلمين منذ الوهلة الأولى سمحوا للنصارى بممارسة شعائرهم الدينية بكل حرية، ولم يتعرضوا لطقوسهم، ولم يمسوا كنائسهم بسوء. وقد عبر غوستاف لوبون عن ذلك بقوله:" وأحسن العرب سياسة سكان اسبانية كما أحسنوا سياسة أهل سورية ومصر، فقد تركوا لهم أموالهم وكنائسهم وقوانينهم، وحق المقاضاة الى قاض منهم، ولم يفرضوا سوى جزية سنوية تبلغ دينار عن كل شريف ونصف دينار عن

[1] - تجمع الروايات المسيحية أن زائدة زوجة ألفونسو السادس ملك قشتالة هي بنت المعتمد بن عباد أو زوجة ابنه الفتح بن المعتمد، وقد قصدت قشتالة بعد أن قضى المرابطون على ملوك الطوائف وجعلوا الأندلس موحدة تحت حكمهم. Alfonso Al Sabio , op.cit , p.69. أما المصادر العربية فلا تذكر ذلك إطلاقا باستثناء مؤرخ واحد هو: ابن عذاري الذي يتحدث عن موقعة أقليش بقوله: " في خلال ذلك وصل إلى اقليش ولد أذفونش شانجة من زوج المأمون التي كانت قد تنصرت مع نحو سبعة ألاف فارس. المصدر السابق، ج4، ص 50. وتبقى قصة زائدة أسطورة تتطلب البحث لإثباتها، وسبب غموضها هو سكوت المصادر العربية عن قصتها. (انظر: عبد الله عنان، دول الطوائف، ص 347-348).

[2] - رجب عبد الحليم ، المرجع السابق، ص 425.

كل مملوك، فرضي سكان اسبانيا بذلك طائعين"[1]. أما النصارى فلم يسلكوا نفس السياسة التي سلكها المسلمون معهم، فمنذ أن رجحت الكفة لصالحهم بداية من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، عاملوا المسلمين الذين بقوا في المدن المستردة معاملة سيئة، وقاموا بإحراق مساجدهم أو تحويلها إلى كنائس، وكان للكنيسة دور كبير في ذلك عندما اذكت نار الحرب الصليبية اتجاه المسلمين، ودعت الى محاربتهم واستعمال شتى الطرق لطردهم من شبه الجزيرة[2]. ومن المظاهر الاجتماعية التي أثر فيها المسلمون في النصارى كذلك الكرم والشجاعة والوفاء بالعهود، وهي صفات أثرت كثيرا على النصارى، ونالت إعجابهم. وخير مثال على ذلك ما ذكره غوستاف لوبون، أنه في سنة 1139م، قام حاكم قرطبة بفرض حصار على مدينة طليطلة وكانت الملكة بيرنجيرا موجودة بداخلها، فأرسلت الى الحاكم المسلم تقول له بأنه لا يليق بفارس شهم شجاع كريم أن يحاصر امرأة، فارتد القائد المسلم فورا[3]. وكان المسلمون خلال غزواتهم لبلاد النصارى يطبقون وصية النبي (ص)، فلا يتعرضوا لشيخ أو عجوز أو طفل، ولا يخربوا زرعا ولا يقتلوا حيوانا. كل تلك الصفات نالت اعجاب النصارى. وللمسلمين أيضا دور في انتقال الموسيقى الى الشمال الاسباني الذي لم يكن يملك أية فكرة عنها في تلك الفترة. وتذكر الروايات أن ملوك النصارى خلال عصر الطوائف والفترة التي تلتها، وُجد داخل بلاطهم بعض المغنيين والمغنيات المسلمات. وما يدل على ذلك أن أسماء أشهر الآلات الموسيقية عند الاسبان أصلها عربي كالقيتارة(Guitara)، والطبل (Atable)والبوق (Elbouque)، كما كان هؤلاء النصارى يرددون أثناء ذلك عبارات ذات أصل عربي كليل ليل(leli leli)و الله الله(ole ole)[4].

[1] - غوستاف لوبون، حضارة العرب، نقله الى العربية عادل زعيتر، دار احياء الكتب، القاهرة، د.س.ط، ص 266.

[2] – الأمثلة حول ذلك كثيرة، ولا يسع المقام لذكرها، وخير مثال على ذلك ما قام به سانشو راميرز وحلفاؤه مع مسلمي بربشتر.

[3] – المرجع السابق، ص 278.

[4] - زيغريد هونكة، شمس الله تشرق على الغرب، ترجمة وتحقيق وتعليق فؤاد حسين علي، دار العلم العربي، القاهرة، ط2، 2011م، ص 406؛ رجب عبد الحليم، المرجع السابق، ص 433.

وتأثر المسلمون بالأعياد المسيحية، وأصبحوا يحتفلون بها، وأضافوا إليها طقوسا خاصة كعيد ميلاد المسيح، وعيد السنة الجديدة وغيرها من الأعياد النصرانية. ومن مظاهر التأثير الاجتماعي بين الطرفين كذلك: وصول الملابس الاسلامية إلى النصارى، وكانت النساء النصرانيات تتهافت على القوافل التجارية التي تحمل السلع الاسلامية من أفرشة وملابس وغيرها[1]. أما الأطعمة والأشربة، فبحكم ما اشتهر به المطبخ الأندلسي من تنوع في الأكلات، فقد وصلت هي الأخرى الى المطبخ الاسباني[2]. وهناك تأثير اجتماعي لا يقل قيمة عما ذكر وهو فن العمارة، حيث أنه منذ قيام الدولة الأموية ظهر نوع جديد في العمارة أطلق عليه اسم (العمارة المستعربية)، وسميت بذلك نسبة لدور المستعربين فيها، وظهر تأثرها بالعمارة الاسبانية(القوطية) واضحا، وظهرت هذه العمارة في مسجد قرطبة الذي تداخلت بناياته وزخرفته، وانتقلت هذه العمارة فيما بعد إلى الممالك النصرانية، وأصبح ملوكها يبنون قصورهم وكنائسهم وبناياتهم وفق تلك العمارة، بالإضافة إلى الجسور والقنوات المائية والحمامات التي حملت نفس التصاميم الاسلامية[3].

2- في الجانب الثقافي والعلمي:

ما إن استتب الأمر للمسلمين داخل شبه الجزيرة، حتى أخذت الحركة العلمية والثقافية عندهم تشق طريقا نحو التطور والتميز، ووصلت في مرحلة ما ذروتها، وذاع صيت تلك النهضة العلمية التي أحدثها المسلمون داخل شبه الجزيرة وخارجها، وأخذ الطلاب يقصدون قرطبة من كل أنحاء المعمورة. أما طلاب الممالك النصرانية، فقد أقبلوا على العلوم العربية اقبالا كبيرا، وتأثروا بها أيما تأثر وأصبحوا يتقنون اللغة العربية، ويتواصلوا بها بينهم أكثر من لغتهم الأصلية(اللاتينية). وقد اشتكى ألفارو

[1] – ليفي بروفنسال، الحضارة العربية في اسبانيا، تر الطاهر احمد مكي، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1994م، ص 418، ص 118؛ رجب عبد الحليم ، المرجع السابق، ص 425.

[2] – الحضارة العربية في الأندلس، ج2، ص 288؛ ليفي بروفنسال، المرجع السابق، ص 118.

[3] – لمزيد من المعلومات حول ذلك.(انظر: ليفي بروفنسال، المرجع السابق، ص 122-124؛ غوستاف لوبون، المرجع السابق، ص282).

Alvaro)القرطبي من ذلك وعبر عليه بقوله:" إن إخواني في الدين يجدون لذة كبرى في قراءة شعر العرب وحكاياتهم، ويدرسون مذاهب الفقهاء والفلاسفة المسلمين في عمق، لا ليردوا عليها وينقضوها، وإنما ليكسبوا من ذلك أسلوبا عربيا جميلا صحيحا"[1]. ومن الذين قصدوا قرطبة من خارج شبه الجزيرة: الفيلسوف أدلارد (Adelard)،جيرارد الكريموني (Gérard)، وجربرت(Gerbert) الذي حمل اسم البابا سلفستر الثاني(Sylvestre)(999-1003م) بعد ذلك، حيث مكث في قرطبة حوالي ثلاث سنوات، نهل خلالها من كل العلوم ولما عاد الى بلاده أذهل معاصريه بسبب المستوى الذي وصل إليه وبراعته في مختلف العلوم ولقب بالبابا الفيلسوف[2]. وبالإضافة إلى ذلك فإن ملوك النصارى هم كذلك تأثروا بالحضارة الاسلامية كثيرا، وأحاطوا أنفسهم بخيرة العلماء كألفونسو السادس الذي جلب العلماء من قرطبة لتأديب ابنه سانشو، وبدرو الأول(1094-1104م) ملك أراغون الذي كان يتقن اللغة العربية، والفارس القشتالي السيد القمبيطور الذي كان كذلك يتكلم العربية ويستمتع بسماع الشعر العربي[3]. وعبر ابن بسام على ذلك بقوله:" وكان – زعموا – تدرس بين يديه الكتب وتقرأ عليه سير العرب فإذا انتهى إلى أخبار المهلب استخفه الطرب وطفق يعجب منها ويتعجب"[4].

ومن مظاهر التأثير الثقافي بين الطرفين قيام النصارى بترجمة الكتب العربية والمعربة الى اللاتينية، ونحن نعلم أن العلماء المسلمين في الأندلس، قاموا بترجمة أمهات الكتب إلى العربية ككتاب ديسقورديس(Discordes) في الطب الذي بعثه قسطنطين السابع الى الخليفة عبد الرحمان الناصر[5]، وقد بلغت تلك الحركة ذروتها خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، خاصة بعد

[1] – ليفي بروفنسال، المرجع السابق، ص 101.

[2] – رجب عبد الحليم ، المرجع السابق، ص 453.

[3] – ليفي بروفنسال، المرجع السابق، ص 119.

[4] – المصدر السابق، ق3، ص 99.

[5] – لمزيد من المعلومات حول ذلك.(انظر: خوان فرنييت، فضل الأندلس على ثقافة الغرب، نقله عن الاسبانية نهاد رضا، اشبيلية للدراسات والتوزيع، سوريا، 1997م، ص 111 وما بعدها من الصفحات).

استيلاء ألفونسو السادس على طليطلة، حيث ظهرت فيها أشهر مدرسة للترجمة، وقصدها الطلاب من مختلف الأنحاء كجيرارد الكريموني وغيرهم من طلاب الغرب الأوربي[1].

ومن مظاهر التأثير الأدبي بين الطرفين ظهور نوعين جديدين من الشعر هما: الموشحات والزجل. أما الموشحات فكانت تكتب باللغة العربية وليست لها قافية موحدة، وظهر هذا النوع خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. أما الزجل فكان يكتب باللغة العامية واللغة الأعجمية (الاسبانية)، وظهر بعد الموشحات بقرن من الزمن. ويمكن القول أن الزجل اسباني بالنظر الى المواضيع التي كان يتطرق اليها، وتضمه لأعياد تخص النصارى[2]. وفي الجنوب الفرنسي(بروفانس) ظهر نوع جديد من الشعر سمي بالتروبادور (Troubadour)[3]، وهو يشبه الى حد كبير الزجل في طريقة نظمه ومواضيعه. أما فيما يخص المفردات، فيرى الباحثون المهتمون باللغة والأدب الاسباني أن القاموس الاسباني يحتوي على حولي خمسين بالمئة من الكلمات أصلها عربي، والأمثلة على ذلك عديدة لا تسعها هذه المحاضرة، ونشير الى أشهرها كالقبة (alcoba)، فلان(fulan)، السكرel azucar)، طاحونة(tahona)، تعريفة(tarifa) ...الخ. هذا بالإضافة الى أن أسماء الأودية والأنهار والجبال الموجودة في اسبانيا تحمل أسماء عربية كالواد الكبير (Guadalquivir) وغيره من الأسماء[4].

[1] – زيغريد هونكة، المرجع السابق، ص 282-286؛ ليفي بروفنسال، المرجع السابق، ص 134.

[2] – الحضارة العربية في الأندلس، ج1، ص 581؛ خوان فرنييت، المرجع السابق، ص 406.

[3] – هناك اختلاف بين الأدباء حول أصل التسمية فمنهم من يرجعها إلى أصل لاتيني بمعنى " يؤلف "، وهناك من يرى أنها محرفة عن الكلمة العربية " طرب " فأصبحت تعني " طرب الدور ". أما عن شعر التروبادور فقد ظهر في القرن الحادي عشر الميلادي بإقليم بروفانس جنوب فرنسا، حيث قامت جماعة من الشعراء بنظم الشعر الغنائي وشعر الفروسية، فأصبح يطلق على هذا النوع من الشعر التروبادور، ومن بروفانس انتقل إلى باقي أقاليم الجنوب الفرنسي كأكيتانيا، واللانجدوك،كما انتقل إلى مملكة أراغون وقطلونية، ووصل إلى الشمال الإيطالي. (انظر: مونيكال ماريا روزا، الدور العربي في التاريخ الأدبي للقرون الوسطى، ترجمة صالح بن مغيث الغامدي، مطبعة جامعة سعود، السعودية، 1999، ص 4؛ يوسف أشباخ، المرجع السابق، ص 47).

[4] – ليفي بروفنسال، المرجع السابق، ص 114-116.

3- في المجال الاقتصادي:

ومثل الحياة العلمية والثقافية التي وصل فيها المسلمون إلى ذروة تطورهم فيها، فقد برعوا كذلك في المجال الاقتصادي وأحدثوا ثورة كبيرة فيه، كالزراعة حيث قاموا باستصلاح الأراضي وأدخلوا طرقا وتنظيمات جديدة عليها ساهمت في زيادة الانتاج وتنوعه، وذلك عندما غرسوا أنواعا مختلفة من الأشجار، وتحدثت عن ذلك المستشرقة الأمريكية دوروثي لودر بقولها :" كان عبد الرحمان ذكيا، أدخل كثيرا من الصناعات الى البلاد وشجعها كصناعة الحرير، والورق وتطعيم الصلب بالذهب والفضة – وهي صناعة دقيقة عرفت باسم الفن الدمشقي- ...كما ازدهرت صناعة الجلود التي نسبت الى قرطبة. واهتم عبد الرحمان أيضا بالزراعة فأدخل أشجار الموز وقصب السكر ونخيل التمر. ويقال أنه أول من زرع نخلة تثمر في اسبانيا في حديقة قصره، وكان يعتبر فلاحة البساتين من الفنون الجميلة، كما أدخل كثيرا من الصناعات وشجعها كصناعة الحرير والورق وصناعة الجلود"[1]. وأطلق النصارى على الأندلس اسم الجنة نظرا لما شهدته من تنوع في المحاصيل واخضرار طوال السنة. أما اسبانيا النصرانية، فقد بني اقتصادها في تلك الفترة على الرعي بحكم موقعها الذي يفتقر الى ما كانت تملكه بلاد الأندلس من تنوع طبيعي، وبسبب جهلها كذلك لأمور الزراعة وتقنياتها بسبب سيطرة النظام الاقطاعي. وفيما يخص المحاصيل الزراعية، فقد كانت تعتمد بالدرجة الأولى على ما تستورده من المسلمين، وبعد فترة من الزمن وبحكم احتكاكهم بالمسلمين ووجود القنوات التي ذكرناها سابقا ، قام الاسبان بزراعة المنتجات الزراعية التي جلبوها من عند المسلمين[2]. أما الصناعة فإن توفر المادة الأولية بشبه الجزيرة وتنوعها ساعد المسلمين على إحداث ثورة فيها، حيث ابتكر المسلمون العديد من الآلات والوسائل التي سهلت لهم حياتهم، كما طوروا البعض منها، ومن تلك الصناعات: اعتمادهم على الماء في إدارة الطواحين والأرحية، كما ابتكروا الأنابيب لنقل المياه من أماكن تجمعها

[1] – دوروثي لودر، اسبانيا شعبها وأرضها، ترجمة طارق نورة، مراجعة وتقديم عزالدين فريد، مكتبة الاسكندرية، د.س.ط، ص 47.

[2] – رجب عبد الحليم ، المرجع السابق، ص 468.

إلى المدن، بالإضافة إلى تطوريهم للصناعات الخاصة بالسلاح (سيوف، رماح، دروع، سروج)، دون أن ننسى الصناعات النسيجية، والجلدية حيث برع المسلمون في صناعة الملابس والأفرشة، وانتقلت تلك الصناعات إلى الشمال الاسباني واحتلت مكانة مهمة لديهم، وشجع الملوك الاسبان الرعية على تعلمها[1]. أما التجارة فإن المتحكم فيها هو الانتاج الزراعي والصناعي وتنوعه، وما دام أن المسلمين حققوا فائضا في ذلك، فقد عرفت الحركة التجارية بينهم وبين الممالك الاسبانية انتعاشا ونشاطا كبيرا، وذلك بسبب افتقار هؤلاء النصارى لمثل تلك المنتجات، وهو ما دفعهم الى شرائها من المسلمين، وقد كان للتجار اليهود دور كبير في الحركة التجارية بين الطرفين بحكم خبرتهم في هذا المجال[2].

[1] – دوروثي لودر، المرجع السابق، ص 47؛ ليفي بروفنسال، المرجع السابق، ص 124؛ غوستاف لوبون، المرجع السابق، ص274.

[2] – رجب عبد الحليم ، المرجع السابق، ص 478.

المحور الثامن: علاقة المرابطين بالممالك النصرانية

أولا: الصراع المرابطي القشتالي

1- معركة الزلاقة تؤجل سقوط الأندلس:

كان لسقوط طليطلة أثر كبير على المسلمين في الأندلس حيث أنذرهم بخطورة الوضع، وبين أن حركة الاسترداد الاسبانية قد بلغت أوجها، وأن أيامهم بهذه البلاد قد أصبحت معدودة، وهذا ما عبر عنه أحد الشعراء بقوله:

يا أهل الأندلس حثوا مطيكم فما المقام بها إلا من الغلـــط

الثوب ينسل من أطرافه وأرى ثوب الجزيرة منسولا من الوسط[1].

أما الملك القشتالي ألفونسو السادس، فقد شجعه الاستيلاء على طليطلة مواصلة سياسته التوسعية، فأخذ يهدد المدن الاسلامية الأخرى كسرقسطة واشبيلية. وأمام هذا الخطر الداهم لم يجد مسلمو الأندلس وأمراؤهم الضعاف بدا سوى الاستنجاد بالمرابطين[2]، الذين لبوا الدعوة، وعبروا للأندلس تحت قيادة أميرهم يـوسف بن تاشفين(400-500هـ/1009-1106م)[3]، وفي تلك الأثناء كان

1 - ابن خلكان (شمس الدين أحمد بن محمد): وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، لبنان ، د .س .ط، ج5، ص 27-28 .

2 - دولة مغربية أسسها بربر لمتونة ،إحدى فروع قبيلة صنهاجة . نسبت إلى المكان الذي انطلقت منه و هو رباط أقام فيه عبد الله بن ياسين الجزولي مع أتباعه ، وقد بسطت هذه الدولة نفوذها من بلاد السنيغال غربا إلى الجزائر شرقا ، و الأندلس شمالا . بلغت أوجها في عهد يوسف بن تاشفين ..لمزيد من المعلومات عن دولة المرابطين. (أنظر ، ابن عذاري، المصدر السابق، ج 4 ، ص 5 وما بعدها من الصفحات؛ ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، 188) .

3- هو الأمير يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن ترقون بن وارتقطين بن منصور بن مصالة بن أمية الصنهاجي اللمتوني. ولد بالصحراء عام 400هـ / 1009م، تولى حكم دولة المرابطين بعدما تنازل له ابن عمه " أبو بكر بن عمر ". استطاع أن يؤسس دولة قوية مترامية الأطراف امتدت من بجاية شرقا حتى المحيط الأطلسي غربا، ومن الأندلس شمالا حتى بلاد السودان جنوب، وكان أول من تلقب بأمير المسلمين من أمراء المغرب توفي عام 500هـ - 1106م. (انظر: ابن أبي زرع(أبو الحسن علي بن عبد الله =

ألفوسو السادس محاصرا لمدينة سرقسطة، وما إن علم بعبور المراطبين حتى فك الحصار عليها، وبعث رسله إلى كافة الملوك الإسبان يستنجد بهم، وكان على رأسهم (Sancho Ramirez)(1063-1094م)ملك أراغون، وإلى الأمراء المسيحيين خارج شبه الجزيرة، وخاصة في الجنوب الفرنسي، واستدعى قائده ألبارهانيث (Alfar Hanes)- البرهانس في الروايات العربية -، الذي كان موجودا في تلك الفترة في مدينة بلنسية[1].

قرر ألفونسو السادس مواجهة جيش المرابطين في الأراضي الإسلامية، حتى يجنب مملكته عواقب المعركة، وسار نحو الجنوب للقائهم، وعند وصوله عسكر بالقرب من جيش المرابطين بحيث لا يفصل بينهما سوى نهر تاجة(Tajo). و قد تألف الجيش القشتالي في معظمه من الجنود الأراغونين، عين ألفونسو السادس ألبرهانس على رأسه. وفي يوم الجمعة 12 رجب 479هـ/23 اكتوبر 1086م[2]، التقى الجيشان في واحدة من أشهر المعارك في التاريخ الإسلامي وهي معركة الزلاقة(Sagrajas[3]من

الفاسي): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، صور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص 136؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج 4، ص 5 وما بعدها من الصفحات).

1 - ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص 91؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج7، 117ص؛ عنان ، دول الطوائف، ص 287؛

Alfonso El Sabio , op.cit. , p.537 ; Cronica De San juan De La pena,p.453 .

2 - هناك اختلاف بين الروايات العربية حول تاريخ معركة الزلاقة. فابن الأثير يقول أنها وقعت في يوم الجمعة 10من شهر رمضان . المصدر السابق، ج8، ص 447؛ أما ابن خلدون فيقول أنها وقعت في 481هـ. المصدر السابق، ج6، ص 248، وبها يأخذ ابن الكردبوس. المصدر السابق، ص 95؛ أما الحميري فيقول أنها كانت في 20 رجب 479هـ. المصدر السابق، ص 287-288؛ أما ابن عذاري فيذكر أنها وقعت في 12 رجب 479هـ، وهو التاريخ الصحيح بالنظر إلى الرسالة التي كتبها يوسف إلى أهل العدوة " وكانت هذه النعمة العظيمة و المنة الجسيمة يوم الجمعة 12 رجب 479هـ". ابن أبي زرع ، المصدر السابق، ص 149) .

3 - تقع في الشمال الشرقي من بطليوس بغرب شبه الجزيرة الأيبيرية. (انظر:الحميري، المصدر السابق، ص 287؛ ابن الكردبوس ، المصدر السابق، ص 93).

أحواز مدينة بطليوس(Badajoz)، انتهت بهزيمة الجيش النصراني هزيمة نكراء، أفلت منها ألفونسو السادس مع القليل من رجاله تحت جنح الظلام بشـــق الأنفس[1] .

كانت معركة الزلاقة محطة مفصلية في تاريخ المسلمين بالأندلس أجلت من سقوطها، وأوقفت الخطر الذي شكله ألفونسو السادس وأتباعه عليهم، ودفعت هذا الأخير إلى مراجعة حساباته، كما جعلته يدرك محدودية إمكانياته، وهو ما أجبره على طلب المساعدة من أمراء خارج شبه الجزيرة، وينذرهم بأن عدم تلقي المساعدة والدعم يعني دخول المسلمين إلى أوربا، فكانت الاستجابة سريعة، حيث وصلت قوات من الجنوب الفرنسي، بالإضافة إلى كبار النبلاء الفرنسيين، وعبرت هذه القوات جبال البرانس، وسارت باتجاه طليطلة من أجل الدفاع عنها، والاستعداد لمواجهة المرابطين انتقاما لهزيمة الزلاقة. وما إن سار الجيش القشتالي حتى حدث ما لم يكن يتوقعه ألفونسو السادس، فقد بلغه أن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين قد عاد إلى المغرب بعدما وصلته أخبار وفاة ابنه أبي بكر سير، وبذلك تعجل مشروعه في محاربة المرابطين والانتقام لمعركة الزلاقة [2].

2- استرجاع مدينة بلنسية:

في جمادى الأولى 487هـ/جوان 1094م، نجح الفارس القشتالي رودريغو دياث دو بيفار(Rodrigo Diaz de Vivar) المشهور باسم السيد القمبيطور في الاستيلاء على بلنسية بعد أن حاصرها لأكثر من عشرين شهرا، ذاق خلاله سكانها كل أنواع المصائب والمحن، وبمجرد دخولها انقلب السيد على سكان بلنسية شر منقلب ونكل بهم وأحرق قاضيهم ابن الجحاف، وصادر

1 - لمزيد من المعلومات حول معركة الزلاقة وأحداثها. (انظر: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 145 - 150؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج4، ص 130؛ ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص 93- 96؛ المقري، المصدر السابق، ج4، ص354-373؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 48؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج8، ص 445-448؛
Alfonso El Sabio , op.cit. , p.557sqq) .

2 - لمزيد من المعلومات حول ذلك.(انظر: ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص 152؛ ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص 95؛ المقري، المصدر السابق، ج4، ص 370؛ عبد الله عنان، ملوك الطوائف، ص 330-331).

ممتلكاتهم، وحول مسجدهم إلى كنيسة، ونكث بكل الوعود التي اتفق معهم عليها قبل أن يسلموه المدينة، وقد كان لسقوط بلنسية أثر كبير في نفوس مسلمي الأندلس ذكرهم بفاجعة طليطلة. أما الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين فبمجرد سماعه بذلك حتى فاضت نفسه حسرة وصمم على إنقاذ أهل بلنسية من المصيبة التي حلت بهم[1]. وتذكر المصادر العربية والأجنبية أن السيد بفضل خبرته وشجاعته العسكرية هزم المرابطين في معركتين متتاليتين هما: معركة كوارت(cuaret)(قرية قريبة من بلنسية) التي وقعت في رمضان 487هـ/1094م، ومعركة البيرين(Beiren)(جنوب بلنسية)التي وقعت في 491هـ/جانفي 1097م، تلقى فيهما المرابطون هزيمة مذلة وغنم السيد فيهما الكثير[2].

وبعد ذلك تحركت قوات المرابطين بقيادة محمد بن الحاج نحو طليطلة بأمر من يوسف بن تاشفين، بعد أن وصلته أخبار تقدم ألفونسو السادس، والتقى الجيشان في معركة بالقرب من كونسجرا(Consuegra)، من أعمال طليطلة وذلك في 491هـ / 1097م، تلقى فيها ألفونسو السادس هزيمة قاسية قتل فيها ابن السيد القّمبيطور الوحيد دييجو (Diego). ويشير ابن الكردبوس إلى تلك المعركة بقوله: " وقدم عليهم محمد بن الحاج، فالتقوا بكنشرة فكانت بينهم جولات وحملات إلى أن زلزل الله أقدام المشركين وولوا مدبرين، فالتحفتهم السيوف، واختطفتهم الحتوف وآب المسلمون إلى قرطبة سالمين ظافرين غانمين"[3].

1- لمزيد من المعلومات حول ذلك.(انظر: ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 34 ؛ ابن بسام ، المصدر السابق ، ق3 ، ص 98 ؛ عبدالله عنان ، دول الطوائف ، ص 231وما بعدها من الصفحات؛

Alfonso el sabio , op.cit , p .587; Dozy reinhart , le cid d'après des nouveaux document .dans recherches sur l'histoire et la litterature de l' Espagne pendant le moyen àge , 3 èdition , layade , 1881 , vol 2 , p.179).

2 – لمزيد من المعلومات حول ذلك.(انظر: ابن عذاري، المصدر السابق، ج4، ص 40؛ ابن الخطيب، أعمال، ص 204؛ عبد الله عنان، دول الطوائف، ص 247؛

Dozy, op.cit v. 2 , p.190 sqq; Bidal , op.cit , pp. 205 – 208.

3 – المصدر السابق، ص 102.

تأثر السيد القّمبيطور كثيرا بعد مقتل ابنه الوحيد دييجو، وحزن عليه حزنا شديدا إلى درجة أن لازم الفراش مريضا ثم مات بعد ذلك، فتوالت هجمات المرابطين على بلنسية وهزموا الجيش القشتالي في أكثر من معركة. وفي سنة 494 هـ / 1102م ، انتظمت قوات المرابطين بقيادة الأمير المزدلي، الذي سار نحو بلنسية مصمما على استرجاعها فضرب عليها حصارا استمر لمدة سبعة أشهر، ولما أدركت زوجة السيد دونا خيمنا عجزها عن صد الهجومات المرابطية أخلت المدينة من النصارى، ومن الممتلكات وحملت رفاة زوجها وأحرقت المدينة وتركتها أطلالا دارسة، لتعود إلى دائرة الإسلام مرة أخرى[1].

3- معركة أقليش (Ucles)وهلاك ألفونسو السادس:

في سنة 501هـ/1107م، عبر الأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين(500-537هـ/1106-1143م) إلى شبه الجزيرة، وذلك لمواصلة جهاده فيها وتنفيذا لوصية والده الذي ما فتئ يحثه على ذلك، وهناك قام زعماء وقادة الأندلس بإعلان تبعيتهم وطاعتهم له.

استهل علي بن يوسف مشروعه الجهادي بالهجوم على بلدة أقليش الحصينة[2]، التي استولى عليها ألفونسو السادس ملك قشتالة وليون بعد استيلائه على طليطلة، وما إن وصلها الجيش المرابطي في 24 شوال 501هـ/27ماي 1108م، حتى قام بتطويقها ثم مهاجمتها بالقوة، ولم تستطع الحامية النصرانية الموجودة هناك الدفاع عنها فسقطت في أيدي المرابطين. أما القشتاليون المدافعون عن المدينة فقد رجعوا إلى حصن أقليش في انتظار أن تصلهم المساعدة العسكرية من طرف ألفونسو السادس، وبما أن هذا الأخير قد بلغ من الكبر ما لا يسمح له بخوض المعارك، فقد جهز جيشا وضع على

1- ابن عذاري، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 42؛ ابن الخطيب، اعمال ، ص 274؛ عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص 248.

2- أقليش من أمنع معاقل شنتمرية تقع شمال طليطلة، أسسها الفتح بن موسى بن ذي النون في أواخر القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي أيام الأمير الأموي عبد الله، واتخذها معقلا، وأصبحت مقرا لبني ذي النون حتى عهد المنصور محمد بن أبي عامر، وبعد سقوط الخلافة الأموية انتقلوا منها لحكم طليطلة. (انظر: عبد الله عنان، عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ق 1، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1990، ص 61).

رأسه أكبر القادة في تلك الفترة وهو ألبرهانس، وغرسية أوردونيز، بالإضافة إلى إشراك ابنه الوحيد سانشو من زوجته زائدة المسلمة، والذي كان في تلك المعركة يبلغ الحادية عشر من عمره. وعلى أية حال فقد زحف الجيش القشتالي إلى قلعة أقليش لانجادها، وفي يوم الجمعة 16 شوال 501هـ/29 ماي 1108م، تقدم الجيش المرابطي بقيادة الأمير أبي الطاهر تميم شقيق الأمير علي بن يوسف، اتجاه أقليش لمواجهة الجيش القشتالي، وفور وصول الجيش المرابطي احتدم الصراع بينهما. وقد وصف القائد المرابطي تميم تلك المعركة بقوله: " فعند ذلك اختلطت الخيل بل سال السيل، وأظلم الليل، وأعنقت الفرسان، واندفت الخرصان ودحا الليل القتام، وضاق مجال الجيش اللهام، واختلط الحسام بالأجسام، والأرماح بالأشباح ودارت رحى الحرب تغز بنكالها وثارت ثائرة الطعن والضرب تفتك بأبطالها "[1].

كان من أهم ما نتج عن معركة أقليش، مقتل سانشو ابن ألفونسو السادس ملك قشتالة وليون، والذي كان محاطا بخيرة القادة القشتاليين، وبمقتله تشتت الجيش القشتالي ولاذ أفراده بالفرار من بينهم القادة أو الكونتات السبعة الذين شاركوا في هذه المعركة، وقصدوا حصن بلنشون(Belinchon) القريب من طليطلة فلحق بهم المسلمون، وقتلوهم جميعا، فعرف مكان مقتلهم فيما بعد بـ" الكونتات السبعة "، وهو ما جعل المصادر المسيحية تذكر تلك المعركة، بمعركة " الكونتات السبعة Siete Alkontat "، وقد تكبد الجيش القشتالي في هذه المعركة هزيمة قاسية[2].

[1] – لمزيد من المعلومات حول معركة أقليش. (انظر: ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 159؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج4، ص 50؛ ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص 114؛ عبد الله عنان، عصر المرابطين والموحدين، ص64؛
Alfonso Al Sabio, op.cit., p 554).

2 – تقدر الروايات العربية عدد القتلى في الجيش القشتالي بثلاثة وعشرين ألف قتيلا، وهو تقدير يتوافق مع الروايات المسيحية تقريبا، والتي تقدره بعشرين ألف. ويذكر الأمير المرابطي تميم في رسالته أن عدد القتلى كان أكبر بكثير فالرؤوس القريبة التي تم جمعها بلغت ثلاثة آلاف دون حساب البعيدة والتي لا يحصى عددها، ومن هذه الرؤوس رأس غرسية أوردونيز، والكونت دي قبره(Cabra)، وقادة طليطلة. عبد الله عنان، عصر المرابطين والموحدين، ص 65. أما عن القتلى المسلمين فليست لدينا أرقام معلومة عنها، المهم أنها كانت كثيرة، وقد عبر عنها ابن قطان بقوله: " واستشهد جماعة من المسلمين رحمهم الله. المصدر السابق، ص 104.

كان للانتصار الذي حققه المرابطون في هذه المعركة أثر كبير في نفوس المسلمين بالأندلس ذكرهم بمعركة الزلاقة الشهيرة، وهو نصر ساهم في توطيد سلطان المرابطين في المناطق الوسطى والشرقية من شبه الجزيرة الأيبيرية، وفي ازدياد شهرتهم العسكرية والدفاعية. أما ألفونسو السادس ملك قشتالة وليون ،فقد تأثر وحزن لذلك كثيرا بسبب مقتل ابنه، ووريثه الوحيد سانشو، ولزم الفراش لأيام متتالية إلى أن مات في نفس السنة. وبذلك استراح المسلمون من شر أخطر واشهر ملك في تاريخ اسبانيا خلال العصور الوسطى[1].

وفي تلك الفترة استطاع المرابطون بقيادة سير بن أبي بكر، التوسع في الجهة الغربية من شبه الجزيرة، واستولوا سنة 504هـ/1111م، على مدينة بطليوس(Badajoz)، وشنترين(Santarén)، وتوغلوا في الأراضي البرتغالية حتى وصلوا مدينة بورتو، وهددوا قلمرية عاصمة الإمارة، ولم يستطع البرتغاليون ردهم بسبب غياب أميرهم الكونت هنري[2].

ثانيا: الصراع المرابطي الأراغوني ونتائجه:

في الوقت الذي تولى فيه المرابطون حكم الأندلس والقضاء على ملوك الطوائف، وصل إلى العرش الأراغوني واحد من أقوى الملوك في تاريخها بل حتى في تاريخ اسبانيا النصرانية كلها خلال العصور الوسطى، وهذا الملك هو ألفونسو الأول(المحارب) (Alfonso 1 El Batallador)(1104-1134م)- ابن رذمير في المصادر العربية- الذي لقب بالمحارب لكثرة حروبه مع السلمين، ونظرا للانتصارات والتوسعات الكبيرة التي حققها اعتبر المؤسس الحقيقي لمملكة أراغون.

ومنذ أن دخل المرابطون مدينة سرقسطة في ماي 1110م / ذي القعدة 503هـ، صمم ألفونسو الأول على ضمها، وكان قبل ذلك قد أحاطها بعدد كبير من الحصون والقلاع، فأخذ

1- Jeronimo Zurita, Anales De La Corona De Aragon, Inctitucion Fernando El Catolico, Zaragoza ,p. 58-59.

2 - ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص 106.

بالهجوم عليها بين الفينة والأخرى، لكن المرابطين في تلك الفترة كان لهم من القوة ما ساعدهم على دحره، إلا أن تأزم الأوضاع ببلاد المغرب في تلك الفترة أجبرت القائد المرابطي الكبير تميم على العودة إلى المغرب، فجاءت الفرصة التي انتظرها الملك الأراغوني للاستيلاء على سرقسطة قاعدة الثغر الأعلى، حيث سير إليها في 512هـ/ماي 1118م، حملة عسكرية بعدما وصلته المساعدات من داخل شبه الجزيرة وخارجها. وقد وصف لنا ابن أبي زرع قوة وكثرة القوات المشاركة في تلك الحملة الصليبية على سرقسطة بقوله: " فأتوها في أمم كالنمل والجراد فنزلوا معه بها وشرعوا في قتالها "[1]. وما إن وصلها حتى ضرب عليها حصارا شديدا، ومن أجل تضيق الخناق عليها، جلب المحاصرون معهم أبراجا خشبية عالية، وذلك لما اتصفت به المدينة من علو أسوارها وحصانتها، كما جلبوا معهم عشرين منجنيقا من أجل دكها. استمر الحصار أكثر من سبعة عشرة شهرا، وهي مدة طويلة بالنسبة لسكانها المسلمين الذين نفذت كل مؤنهم الغذائية، فأصبحوا في حالة يرثى لها، كما أثر ذلك على الجيش الصليبي، ففكر الملك الأراغوني في فك الحصار، لولا تدخل أسقف مدينة وشقة الذي شجعه على المواصلة مقابل مده بالمؤن لجيشه. ومع طول مدة الحصار ونفاذ المؤن، اضطر سكان سرقسطة في 18 ديسمبر 1118م / رمضان 512هـ، إلى تسليم المدينة مقابل مجموعة من الشروط تحدث عنها ابن الكردبوس[2].

وبسقوط سرقسطة يكون المسلمون قد فقدوا واحدة من أعظم المدن الأندلسية وأحصنها. أما الملك الأراغوني ألفونسو الأول، فقد سهل له دخول سرقسطة الاستيلاء على المدن القريبة منها الواحدة تلو الأخرى بداية بتطليلة. وبعد أن استولى على معظم مدن الثغر الأعلى لم يبق أمامه الا مدينة طرطوشة[3](Tortosa) ويربط مملكته بالبحر، لكن الاستيلاء على هذه الأخيرة لا يكون إلا

1 – المصدر السابق، ص 106.

2 – المصدر السابق، ص 118.

3 – طرطوشة مدينة قريبة من البحر المتوسط تقع شرق بلنسية، ومحاذية لنهر الإبره، وهي معروفة كباقي مدن الأندلس بحسنها، وجمالها، وبأهل العلم أبرزهم الفقيه أبو الوليد الطرطوشي الفهري. (انظر: الحموي، المصدر السابق، ج4، ص 29-30؛ الحميري، المصدر السابق، ص 391).

بعد الاستيلاء على لاردة[1](Larida) وافراغة[2](Fraga). وبعد نجاحه في الاستيلاء على الأولى، سار نحو الثانية، لكن إفراغة لم تكن بالمدينة التي يسهل الاستيلاء عليها، فهي ذات موقع حصين يصعب اختراقها. ولما علم علي بن يوسف بهذه الحملة، طلب من قادته الاستعداد لها، فأخذ المقاتلون يصلون من كل مكان، كما نصح حاكمها ابن مردنيش بالصمود أمام الحصار الذي فرضه الملك الأراغوني عليها ريثما يصل الجيش المرابطي. ولما تجمعت القوات الإسلامية توجهت نحو إفراغة لانجادها. وفي 17 جويلية 1134م/23 رمضان 528هـ، التقى الجيشان في معركة حاسمة كانت من أشد المعارك التي خاضها المرابطون ضد ملك أراغون انتهت بمقتل ألفونسو الأول وتشتت جيشه[3].

وبالرغم من النصر الساحق الذي أحرزه المرابطون في معركة افراغة، وقضاؤهم على واحد من أشد ملوك أراغون واسبانيا بأسا وشجاعة، إلا أنهم لم يستفيدوا من ذلك النصر، واكتفوا بما حققوه في تلك المعركة، وعادوا أدراجهم دون مواصلتهم استرجاع المدن التي استولى عليه الملك الأراغوني، وهذا ما حدث ليوسف بن تاشفين في معركة الزلاقة عندما اكتفى بالنصر الذي حققه، وتغاضى عن مطاردة فلول الجيش القشتالي الفار من المعركة بما فيهم ملكهم ألفونسو السادس، واسترجاع مدينة طليطلة ذات الأهمية الكبيرة في شبه الجزيرة، وهذا ما عبر عنه عبد الله عنان حين قال بأن المرابطين ارتكبوا خطأين عسكريين أولهما عدم استغلال النصر الذي حققوه في معركة الزلاقة أمام ألفونسو

[1] – واحدة من أهم مدن الثغر الأعلى تقع شرق سرقسطة ووشقة، وقد بنيت هذه المدينة على نهر شيقر الذي ينبع من جليقية في أقصى الشمال الغربي ويصب في نهر ابره. (انظر: الحميري، المصدر السابق، ص 507؛ الحموي، المصدر السابق، ج5، ص 7).

[2] – افراغة إحدى مدن الثغر الأعلى عرفت بحصانتها، ومسالكها الوعرة، وهي من أعمال ماردة، وتقع غرب لاردة. (انظر: الحموي، المصدر السابق، ج1، ص 227).

3 – لمزيد من المعلومات حول معركة افراغة ونتائجها.(انظر: ابن القطان، المصدر السابق، ص 247-248؛ ابن عذاري، المصدر السابق، ج4، ص 91؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ج9، ص 287؛ الحميري، المصدر السابق، ص 49؛

Zurita, op.cit., p.82-83; Cronica de suan juan de la pena, p.464) .

السادس ملك قشتالة وليون، والثاني عدم استغلال نصر إفراغة وموت ألفونسو المحارب، في مواصلة استرجاعهم للمدن التي استولى عليها ملك أراغون[1] .

[1]- عصر المرابطين والموحدين، ص 126.

المحور التاسع: علاقة الموحدين بالممالك النصرانية

قامت دولة الموحدين على أساس دعوة دينية إصلاحية شعارها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهدفها تأسيس خلافة إسلامية شاملة. أسس دولة الموحدين المهدي محمد بن تومرت المصمودي الهرغي، وقبل وفاته أوصى بالخلافة لقائده عبد المؤمن بن علي الكومي الذي قضى على دولة المرابطين، واستطاع أن يؤسس دولة بسطت سلطانها على كل بلاد المغرب الإسلامي والأندلس.

1-معركة الأرك ودورها في كبح حركة الاسترداد الاسبانية:

ومثل المرابطين فقد حمل الموحدون منذ قيام دولتهم مسؤولية الجهاد ضد الممالك النصرانية التي بلغت أوج توسعاتها في تلك الفترة، مستغلة في ذلك الأوضاع الغير مستقرة ببلاد المغرب وانشغال الموحدين بها، حيث استطاع ملك أراغون رامون بيرنجير الرابع(Ramon Berenguer)(1131-1162م)، وخليفته ألفونسو الثاني(1162- 1194م)، التوسع في منطقة الثغر الأعلى والشرق الأندلسي، واستيلائهما على كبرى المدن به كألميرية وطرطوشة. أما ملك قشتالة ألفونسو الثامن(1155-1214م)، فقد سير هو الأخر العديد من الحملات العسكرية المخربة ببلاد الأندلس ووصل مشارف اشبيلية، وأمام هذا الخطر لم يجد أهل الأندلس وولاته من حل سوى الاستنجاد بالخليفة الموحدي المنصور[1](580-595هـ/1184-1199م)، واعلموه بالتهديد الذي أصبح الملك القشتالي يشكله عليهم، كما وصلته أخبار الحملات التخريبية التي قام بها الفونسو الثامن، لذلك قرر العبور الى الأندلس ووقف توسعات الملك القشتالي، فقام بالاستعدادات اللازمة وبعث الى ولاته بالمغرب يأمرهم بإعداد الجيوش وتنظيمها[2].

---

1 - هو عبد الله يعقوب بن عبد المؤمن الكومي، ولد سنة 555هـ/1160م، بمراكش. تولى الحكم في ربيع الثاني 580هـ/جويلية 1184م، بعد وفاة والده. عرف بالعزم والحنكة والشجاعة العسكرية، وتجلى ذلك من خلال النصر الكبير الذي حققه في معركة الأرك أمام الملك القشتالي ألفونسو الثامن. توفي في ربيع الاول 595هـ/جانفي 1199م. (انظر: ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص 216-217).

2- ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 329؛ ابن ابي زرع، المصدر السابق، ص 220.

وبعد أن اكتملت الاستعدادات، سار الجيش الموحدي يقوده الخليفة المنصور في 591هـ/1194م، اتجاه الأندلس، فنزل بجزيرة طريف، ومنها سار نحو اشبيلية، ثم قرطبة، وما إن علم الملك القشتالي ألفونسو الثامن بحملة المنصور حتى أخذ في الاستعداد لملاقاته، وطلب المساعدة من الممالك النصرانية الأخرى ومن جماعات الفرسان الدينية(فرسان المعبد، الاسبتارية، قلعة رباح..)، ثم سار جنوبا حتى وصل قلعة الأرك(Alarcos)، بالقرب من قلعة رباح(Calatarabah)[1]، فعسكر هناك، ولما علم به المنصور سار نحوه إلى أن وصل مشارف الأرك فعسكر بالقرب منها وهناك قام بتنظيم جيشه وتقسيمه، ولما فرغ من ذلك سار نحو المعسكر القشتالي. وفي 9 شعبان 591هـ/ 18جويلية 1195م، كان اللقاء الحاسم بين الطرفين، فاقتل الجيشان في معركة حامية الوطيس كانت بدايتها لصالح القشتاليين، لكن ظهور المنصور وحث جنوده على الصبر والثبات قلب الكفة لصالحه، فأخذ الجيش القشتالي في التقهقر والتراجع حتى قتل معظمه، ولم ينجو الملك القشتالي ألفونسو الثامن إلا بشق الأنفس، وفر مع من بقي من جنوده نحو طليطلة يجر أذيال الهزيمة. وبعد معركة الأرك واصل المنصور مسيره نحو الشمال فعاث في الأراضي القشتالية، واسترجع بعض الحصون والقلاع الهامة كقلعة رباح، وبعدها قرر العودة جنوبا، ووصل الى اشبيلية في رمضان 592هـ، بعد أن استغرقت حملته حوالي ثلاثة أشهر[2].

كانت معركة الأرك من المعارك الحاسمة في تاريخ المسلمين في شبه الجزيرة الأيبيرية، فقد عطلت حرب الاسترداد الإسبانية لفترة من الزمن، وذكرت المسلمين بمعركة الزلاقة الشهيرة، وبالرغم من الاستعداد الكبير الذي قام به ألفونسو الثامن ملك قشتالة في هذه المعركة، واستنجاده بالفرسان من

1 – قلعة رباح مدينة بنيت أيام بني أمية . تقع بين قرطبة وطليطلة . وهي مدينة حسنة لها حصن حصين . (انظر: الحميري ، المصدر السابق ، ص 469).

2 – لمزيد من المعلومات حول معركة الأرك ووقائعها ونتائجها. (انظر: المراكشي(عبد الواحد بن علي): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، القاهرة، 1963م، ص 358-360؛ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 220؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص329-330؛ عبد الله عنان، عصر المرابطين، ص 196 وما بعدها من الصفحات).

خارج شبه الجزيرة بالإضافة إلى الدعم البابوي إلا أن الجيش الموحدي بقيادة يعقوب المنصور كان له بالمرصاد، وهزم الملك القشتالي شر هزيمة جعلته يعود إلى مملكته، ويعيد حساباته اتجاه الموحدين.

2-معركة حصن العقاب وأفول نجم الموحدين:

بعد وفاة الخليفة الموحدي المنصور، انتقل الحكم لابنه محمد الذي لقب بالناصر، وفي الفترة التي تولى فيها الحكم عرفت بلاد المغرب أوضاعا سياسية مضطربة، صرفته عن الجواز الى الأندلس وتفقد أحوالها، أما ملك قشتالة فلم ينس الهزيمة المخزية التي مني بها أمام الموحدين وظل يعمل للانتقام لها، وما إن أشرفت الهدنة التي وقعها مع الموحدين على النهاية حتى قاد العديد من الحملات التخريبية في الأراضي الاسلامية إلى أن وصل إلى مدينة جيان[1](jean) دون أن يعترض أي شخص مسيره، ثم عاد سالما غانما إلى مملكته بعدما وقف على الضعف الذي حل بالمسلمين[2].

وعندما علم الخليفة الموحدي الناصر بما قام به الملك القشتالي في الأراضي الاسلامية استشاط غضبا، وصمم على الانتقام لذلك، فبعث إلى ولاته بالمغرب يطلب منهم تجهيز الجيوش، وتوفير كل الإمكانيات للمسير الى الأندلس ومقاتلة الملك القشتالي ألفونسو الثامن. ولما تمت الاستعدادات وجُهز الجيش، عبر الخليفة الناصر في 15ماي 1211م/ذي الحجة 607هـ، الى الأندلس فنزل بجزيرة طريف، ومنها سار نحو اشبيلية، وهناك استراح مع جيشه بعض الوقت، ثم أكمل مسيره نحو قرطبة، وبها أكمل استعداداته، ثم سار نحو بياسة، ومنها واصل مسيره نحو قلعة شلبطرة(Salvatra) القريبة من قلعة رباح(اتخذها فرسان قلعة رباح مقرا لهم وظلوا يشكلون خطرا على المسلمين)، فاستهل الخليفة الموحدي حملته بدخولها والقضاء على فرسانها[3].أما الملك القشتالي ألفونسو الثامن فما إن علم

1 – مدينة تقع شرق قرطبة وقريبة من طليطلة. وهي من المدن الكبيرة والحصينة، المعروفة ببساتينها، وخصوبة تربتها، وإليها ينسب الكثير من أهل العلم أبرزهم: الحسين بن محمد بن أحمد الغساني والذي يعرف بالجياني. (انظر: الحموي ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 195).

2 – ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 232؛ المراكشي، المصدر السابق، 394-398.

3 – ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 233؛ المراكشي، المصدر السابق، 398.

بوصول الموحدين إلى قلعة شلبطرة حتى أخذ يستعد لملاقاتهم وطلب العون من جماعات الفرسان الدينية(فرسان المعبد، الاسبتارية، قلعة رباح..)، كما طلب العون من الممالك النصرانية الأخرى(ليون، البرتغال، أراغون)،ومن خارج شبه الجزيرة، كما ناشد البابا انوسونت الثالث(Innocent)(1198-1216م) أن يدعوا لحملة صليبية ضد الموحدين، وأخبره بأن عدم صد الموحدين في حملتهم هذه سيعرض أوربا كلها للخطر. وما إن دعا البابا لتلك الحملة حتى أخذ المشاركون يصلون من كل أنحاء أوربا الغربية، ولم تنقطع الوفود المشاركة التي كانت تصل بين الفينة والأخرى، حتى بلغ تعداد الجيش الصليبي زهاء السبعين ألف مقاتل[1]. وعبر عبد الواحد المراكشي عن تلك الحملة بقوله: " وخرج الأذفونش-ألفونسو- لعنه الله إلى قاصية بلاد الروم مستنفرا من أجابه من عظماء الروم، وفرسانهم، وذوي النجدة معهم فاجتمعت له جموع عظيمة من الجزيرة نفسها ومن المان حتى بلغ نفيره إلى القسطنطينية، وجاء معه صاحب بلاد أرغن- أراغون-المعروف بالبرشنوني لعنه الله"[2]. وما إن أتم الملك القشتالي استعداداته، حتى سار جنوبا لملاقات الموحدين، وفي طريقه عرج على قلعة رباح فنجح في دخولها والاستحواذ على ما بها من غنائم، ثم واصل مسيره، ولما علم الخليفة الموحدي بمسيره وبالطريق الذي سيسلكه عسكر بجيان منتظرا قدومه.

وفي يوم الاثنين 15 صفر 609هـ/19جويلية 1212م، كان اللقاء الحاسم بين الجيش الصليبي بقيادة ألفونسو الثامن ملك قشتالة، والجيش الموحدي بقيادة الخليفة الناصر في معركة حصن العقاب(Navas De Tolosa)بجبال الشارات بالقرب من جيان، انتهت بهزيمة الجيش الموحدي هزيمة قاسية، أذنت بأفول دولتهم. وقد اتفقت المصادر المسيحية والعربية على أن الخسائر في الجيش

1- Alfonso Al Sabio, op.cit., p.688;

عبد الله عنان، عصر المرابطين والموحدين، ق2، ص 293-295.

2 - المصدر السابق، ص 399.

الإسلامي كانت كبيرة، وأن الخليفة الموحدي نجا مع فرقة قليلة من رجاله[1]. كما أظهرت هذه المعركة قوة الممالك النصرانية في تلك الفترة ومدى جاهزيتها لمواصلة حرب الاسترداد في شبه الجزيرة. وعبر ابن أبي زرع عن أثر تلك الهزيمة على دولة الموحدين والمسلمين بالأندلس بشكل عام بقوله:" فذهبت قوة المسلمين بالأندلس من تلك الهزيمة، ولم تنصر لهم راية بها، فاستطال العدو عليها فملك معاقلها واستحوذ على أكثر بلادها"[2].

3- سقوط المدن الأندلسية الكبرى:

كان من مظاهر الضعف الذي حل بدولة الموحدين بعد معركة حصن العقاب، ظهور مجموعة من الثوار بالأندلس كابن هود الذي ظهر في أراجونة ونصب نفسه أميرا، لكن دولته لم تعمر أكثر من عشر سنوات، ثم ظهور ابن الأحمر[3] الذي أعلن قيام دولته وجعل من غرناطة عاصمة له[4]، بالإضافة الى استقلال بنو حفص بحكم المغرب الأدنى، وبنو مرين بالمغرب الأقصى، وبنو زيان بالمغرب الأوسط. ومن مظاهر الضعف كذلك أن أخذت كبرى المدن الأندلسية وأشهرها تسقط الواحدة تلو الأخرى، كقرطبة التي سار اليها الملك القشتالي فرناندو الثالث(Fernando)(1217-1252م) سنة 633هـ/1236م، وحاصرها وضيق عليها، مما أجبر أهلها على تسليمها للملك

1 - لمزيد من المعلومات حول معركة حصن العقاب. (انظر: المراكشي، المصدر السابق، ص 401-403؛ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 238-240؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 335-336؛ عبد الله عنان، عصر المرابطين والموحدين، ص 292 وما بعدها من الصفحات ; Alfonso Al Sabio, op.cit., p.688sqq).

2 - المصدر السابق، ص 240.

3- هو محمد بن يوسف بن محمد بن احمد بن قيس الخزرجي يرجع نسبه إلى سعد بن عبادة سيد الخزرج. ولد في أراجونة شمال مدينة جيان سنة 595هـ/1198م. عرف بالشجاعة والحكمة وبعد النظر، وقد كان شاهدا على تهاوي المدن الأندلسية الواحدة تلو الأخرى في يد الممالك الإسبانية، فأسس كيانا يستطيع من خلاله مواجهة التوسعات الإسبانية(حروب الاسترداد)، فضم مدن الجنوب الأندلسي كجيان والجزيرة الخضراء وغرناطة التي جعلها عاصمة لدولته، وأصبحت تعرف بمملكة غرناطة، أو مملكة بني الأحمر نسبة لمؤسسها. لمزيد من المعلومات عن محمد بن الأحمر ومملكة غرناطة.(انظر: ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1973 م، ج2، ص 92؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 395؛ المقري، المصدر السابق، ج1، ص 447).

4 - سنتطرق إلى ظروف قيام مملكة بني الأحمر بغرناطة وعلاقتها بالممالك النصرانية في المحور القادم.

القشتالي فدخلها في 23 شوال633هـ/29جويلية 1236م، وبذلك سقطت قرطبة عاصمة الأمويين، وكبرى المدن الأندلسية ومعقل العلم والعلماء، بعدما حكموها لما يزيد عن خمسة قرون[1]. وبعد قرطبة جاء الدور على اشبيلية، لكن هذه الأخيرة لم تكن مثل قرطبة خالية من وسائل الدفاع، بل هي من أمنع المدن الأندلسية وأحصنها، فبعد أن أتم الملك القشتالي استعداداته لضمها، خرج إليها في سنة 1246م/644هـ، وفي طريقه إليها لم يترك حصنا ولا قلعة ولا قرية إلا وضمها، كما لم يترك مسلما إلا وأسره، وما إن وصل مشارف اشبيلية إلا وكان قد فتح جميع الحصون المحيطة بها، فضرب عليها حصارا بريا واخرا بحريا، ومنع وصول المؤن إليها، وبالرغم من ضراوة الحصار إلا أن أهل اشبيلية لم يبقو مكتوفي الأيدي ودافعوا عن مدينتهم بكل ما أتوا من قوة، وتقابلوا مع الجيش القشتالي في أكثر من معركة، وأمام طول مدة الحصار ووصول فرق نصرانية بين الفينة والأخرى لمؤازرة ملكهم، ونفاذ مؤن المسلمين حتى اضطروا لأكل الجلود والجيفة، اضطر أهل اشبيلية لتسليم مدينتهم الى الملك القشتالي ألفونسو الثامن. وعبر ابن عذاري عن أحوال سكان اشبيلية في تلك الفترة بقوله:" ومات بالجوع خلق كثير، وعدمت الأطعمة من القمح والشعير، وأكل الناس الجلود وفنيت المقاتلة من العامة وأضاف الجنود"[2]. وفي نوفمبر 1248م/ شعبان 646هـ، تسلم الملك القشتالي المدينة بعد شروط اتفق عليها مع أعيانها، وتفرق أهلها في مختلف المدن المغربية والأندلسية، وبذلك فقد المسلمون واحدة من أروع وأشهر المدن الأندلسية، وكان لسقوطها أثر كبير على المسلمين، حيث استولى الملك القشتالي بعدها على جميع المدن والحصون القريبة منها[3].

1 – لمزيد من المعلومات حول سقوط قرطبة.(انظر: ابن عذاري، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الاندلس والمغرب، حققه وضبط نصه وعلق عليه بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي، تونس، 2013م، ج3، ص 459؛ عبد الله عنان، عصر المرابطين والموحدين، ص 423 وما بعدها من الصفحات).

2 – المصدر السابق، تحقيق بشار عواد، ج3، ص 514.

3 – لمزيد من المعلومات حول سقوط اشبيلية. (انظر: ابن عذاري، المصدر السابق، تحقيق بشار عواد، ج3، ص 514؛ عبد الله عنان، عصر المرابطين والموحدين، ص 470 وما بعدها من الصفحات).

وفي الوقت الذي كانت فيه المدن الجنوبية والغربية تسقط في يد الملك القشتالي فرناندو الثالث، كانت مدن وجزر الشرق الأندلسي هي الأخرى تعيش نفس الظروف، وتسقط الواحدة تلو الأخرى في يد الملك الأراغوني خايمي الأول(Jaime) (1213-1276م)- جاقمة وجاكمو في المصادر العربية-وكانت أولهم جزيرة ميورقة. فبعد أن استقرت الأوضاع للملك الأراغوني أعلن عن حملته العسكرية اتجاه ميورقة، وقد وصف مشروعه هذا بالحدث القطلوني، ومن أجل القيام بمشروعه هذا فقد سخر خايمي الأول كل الامكانيات والوسائل واستنجد بالفرسان والمحاربين من داخل الجزيرة ومن خارجها بالإضافة الى جماعات الفرسان الدينية، دون أن ننسى دور البابوية في تلك الحملة. وعندما تمت جميع الاستعدادات، خرج الأسطول الأراغوني في سبتمبر 1229م/شوال 626هـ، من ميناء سالو يحمل قوات ضخمة من المشاركين من مختلف البلدان الأوربية وكان للجمهوريات الايطالية حضورا بارزا فيه[1]. وعندما وصل الأسطول الأراغوني الى جزيرة ميورقة وقعت العديد من المعارك بين الطرفين، رجحت الكفة لصالح المسلمين في معظمها، وبعدها نجح الجيش الصليبي في الوصول أمام أسوار ميورقة، فضرب عليها حصارا بريا وأخر بحريا استمر لأسابيع متتالية، أظهر خلالها سكان ميورقة قوة وتماسكا أبهرت الملك الأراغوني ورفاقه، وجعلته يقوم بحفر الخنادق واستعمال كل الحيل والطرق لدخول الجزيرة. وبعد تضيق الحصار عليها وتحطيم معظم أبراجها لم يجد حاكم الجزيرة"أبو يحي التنملي" من حل سوى تسليم المدينة، فدخلها الملك الأراغوني في ديسمبر 1229م/صفر 627هـ، وغنم الكثير من المواد النفيسة هو وجنوده. وبذلك خرجت جزيرة ميورقة ذات الموقع الاستراتيجي والمهم في الحوض الغربي للمتوسط من قبضة المسلمين، واستطاع الأراغنيون بفضلها احكام سيطرتهم على هذا الحوض[2].

1- The Chronicle Of James 1 King Of Aragon , Translated From the Catalan By The Late John Forster Esq , London , 1883,V.1, p.99 -111.

2- لمزيد من المعلومات حول سقوط جزيرة ميورقة. (انظر: ابن عميرة (أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي) ،تاريخ ميورقة، دراسة وتحقيق محمد بن معمر، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007، ص 33-49 ؛ المقري، المصدر السابق، ج4، ص 471؛ عبد الله عنان، عصر المرابطين والموحدين، ص 407؛=

وبعد جزر البليار جاء الدور على مدينة بلنسية التي كانت تعيش حالة من لا استقرار في تلك الفترة، وقبل أن يصل إليها، قام الملك الأراغوني بالاستيلاء على جميع الحصون والقلاع والقرى الواقعة في طريقه اليها والقريبة منها. وفي مارس 1238م/رجب 635هـ، سير الملك الأراغوني حملة عسكرية ضخمة اتجاه بلنسية، وما إن وصلها حتى فرض عليها حصارا بريا وأخر بحريا حتى يمنع وصول المساعدات إليها، ثم أخذ في تشديد الحصار عليها، وأمام طول مدته، وسوء أحوال أهل بلنسية، وتأكدهم من عدم وصول أية مساعدة، اضطر حاكمها الى تسليمها صلحا وكان ذلك في صفر 636هـ/ديسمبر 1238م[1]. ويصف ابن الخطيب الأوضاع التي مر بها أهل بلنسية بقوله: " وواصل عدو الله جاقمة ملك أراغون منازلة بلنسية ورميها بالمجانيق، وشدة القتال وما زال المسلمون تنقص أعدادهم، والنصارى تتوارد أمدادهم إلى أن نفذت الأقوات، واستولى الجوع، وضعفت القوى وأكلت الجلود والزقوق. وبلغ الكتاب أجله فكانت المراوضة على إسلام البلد، والخروج عنه في الرابع عشر لصفر من السنة بعد سنة المنازلة، وخرج الأمير أبو جميل والشهود، وعقد الصلح بعدها على دانية وقليبرية. وكان الرزء على المسلمين في أخذ بلنسية عظيما، والخطب فيها أليما " [2].

وبعد بلنسية واصل الملك الأراغوني توسعاته على حساب المدن الجنوبية الشرقية، فبعد بلنسية ضم دانية ثم شاطبة، ثم المرية ثم مرسية فأليكانت حتى لم يبق للمسلمين إلا غرناطة وما جاورها، فاضطر حكامها لمهادنة النصارى، والتودد اليهم وتقبل شروطهم المجحفة اتقاء لشرهم.

=The Chronicle Of James 1,V.1,p. 111sqq.

1 – لمزيد من المعلومات حول سقوط بلنسية في يد الملك الاراغوني خايمي الأول.(انظر: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 272–273؛ المقري، المصدر السابق، ج4، ص 471؛ عبد الله عنان، عصر المرابطين والموحدين، ص 439–449؛
The Chronicle Of James 1, V.1, p. 221 sqq; Zurita , op.cit. , p.245- 259.

2 – أعمال الأعلام، ص 273.

المحور العاشر: علاقة مملكة غرناطة بالممالك النصرانية

رأينا فيما سبق أن الضعف الذي أصاب دولة الموحدين بعد هزيمة حصن العقاب القاسية كان سببا في شيوع الفوضى وانعدام الأمن والاستقرار، وسقوط المدن الأندلسية المهمة كقرطبة واشبيلية وبلنسية...وفي تلك الظروف أصبحت الضرورة ملحمة لوجود قادة أو زعماء يحملون راية الجهاد ضد الممالك النصرانية التي كانت تعيش أفضل أيامها في تلك الفترة، ويعيدوا للمسلمين هيبتهم وقوتهم، فظهر ابن هود في أراجونة ونصب نفسه أميرا، لكن دولته لم تعمر أكثر من عشر سنوات. ثم ظهر محمد بن الأحمر، الذي أعلن قيام مملكة بني الأحمر وجعل من غرناطة عاصمة له، فحملت دولته بالإضافة إلى اسم مملكة بني الأحمر، اسم مملكة غرناطة كذلك.

1- علاقة مملكة غرناطة بمملكة أراغون:

اتسمت العلاقات الأراغونية الغرناطية، بالسلم والمهادنة في أغلبها، ولم يوجد ما يكدرها سوى أحداث عابرة، ويرجع ذلك أولا إلى: ضيق الحدود بينهما، فلم يكن يفصل مملكة أراغون عن مملكة غرناطة، سوى خط صغير ليست وراءه مدن أو معاقل كثيرة، ماعدا مدينة مرسية، التي استولى عليها الملك الأراغوني خايمي الثاني، وأليكانت وأريولة. والأمر الثاني هو: أن مملكة أراغون أغلقت في وجهها باب التوسعات البرية منذ معاهدة ألميثرا 1244م، وهو ما جعلها تركز على التوسعات البحرية، ويجنبها ذلك التصادم مع بني الأحمر ملوك غرناطة، فالصراع كان قائما بينها وبين مملكة قشتالة، لذلك تجنب الملك الأراغوني الدخول في صراع مع ملك قشتالة[1].

وكانت علاقات السلم والتجارة أهم ما ميز العلاقة بين الطرفين، حيث عقدت أول معاهدة بينهما في 11 رجب 695هـ/ 15 مارس 1296م، وهي معاهدة سلم وتجارة وقعت بين خايمي الثاني والملك الغرناطي محمد الفقيه، ومن أهم ما جاء في تلك المعاهدة: أن يكون الصلح ساريا وثابتا طوال حياة الملكين، وألا تنقض بنود الاتفاقية بوفاة أحدهما. وفيما يخص الجانب الاقتصادي فقد أعطيت الحرية للتجار سواء الأراغونيين أو الغرناطيين في ممارسة نشاطهم التجاري، وتنقلهم من مكان

1- Charles Emmanuel Dufourcq , L'Espagne Catalane Et Le Maghrib Aux 13 et 14 Siècles, Presses Universitaires De France , Paris , 1966, pp.348-349.

إلى آخر (من غرناطة إلى أراغون أو العكس)، وضرورة توفير الأمن لهم في أرواحهم وفي أموالهم ، بالإضافة إلى تخصيص فنادق لإقامتهم في أراغون أو في غرناطة، ووضع قنصل يسهل المعاملات التجارية بين البلدين، وفرض غرامة مالية لكل تاجر من البلدين يقوم بأعمال تخريبية في البلد الأخر[1].

وبالإضافة إلى المعاهدات التي عقدت بين الطرفين فإن الرسائل بينهما لم تنقطع. ففي سنة 726هـ/1326م، بعث محمد الرابع رسالة الى الملك الأراغوني خايني الثاني، يبدي له رغبته في تجديد معاهدة الصلح التي عقدها مع والده، فرحب خايمي الثاني بذلك. ومن أهم ما جاء في تلك المعاهدة: تجديد الصلح الذي كان بين الطرفين لمدة خمسة أعوام، وضمان حرية تنقل الأشخاص من مكان لأخر، وضمان أمن التجار في أنفسهم وسلعهم وأهلهم. ومن أهم بنودها كذلك: السماح لتجار المملكتين (غرناطة وأراغون) التجارة في جميع البضائع بقيمتها المعتادة، ولهم الحق في إخراج ما يشترونه من سلع من كلا البلدين، وإخضاعهما للحقوق الجمركية، باستثناء البضائع المحظور الاتجار فيها سابقا، وأن لا تتعرض سفن احداهما للأخرى في البحر أو في المرسى، ومن أهم بنودها كذلك: السماح للمدجنين بمملكة أراغون، التوجه إلى المدن الغرناطية رفقة أهليهم[2].وبقيت المعاهدات والرسائل قائمة بين الطرفين إلى غاية اتحاد مملكة قشتالة مع مملكة أراغون سنة 1474م.

2- علاقة مملكة غرناطة بمملكة قشتالة:

منذ أن قامت مملكة غرناطة أدرك مؤسسها محمد بن الأحمر محدودية امكانياته، وعدم قدرته على مجابهة الممالك النصرانية التي بلغت أقصى اتساع لها في تلك الفترة، لذلك قرر اتباع سياسة تقوم على السلم والمهادنة اتقاء لشر هؤلاء الملوك وحفاظا على دولته الناشئة، فكانت الدبلوماسية أهم ما ميز علاقته بتلك الممالك، باستثناء بعض المعارك التي حدثت بين الطرفين والتي كان النصر فيها حليف ملك قشتالة في معظمها.

وعقدت أول معاهدة بين ابن الأحمر وملك قشتالة فرناندو الثالث سنة 1245م/643هـ، ومن أهم ما جاء فيها: أن يحكم ابن الأحمر غرناطة باسم ملك قشتالة، وأن يؤدي له جزية سنوية تقدر ب 150 ألف قطعة ذهبية(دوبلاس)، وأن يقدم ابن الأحمر المساعدات العسكرية لملك قشتالة متى احتاج إليها، كما تنازل ابن الأحمر لملك قشتالة على العديد من الحصون والقلاع والمدن المهمة

1 - Dufourcq, op.cit.,pp.348-349.

[2] - للاطلاع على المراسلات التي تمت بين الطرفين. (انظر: شكيب أرسلان ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 306-308).

كجيان وأراجونة. ومنذ الوهلة الأولى ومن خلال بنود هذه المعاهدة فقد وضع ابن الاحمر مصير دولته في يد الملك القشتالي، ويرجع بعض المؤرخين ذلك إلى ظروف ابن الاحمر في تلك الفترة فدولته كانت في بداية ظهورها، ولا يستطيع مواجهة ملك قشتالة الذي وصلت مملكته الى أقصى اتساع لها في تلك الفترة، وهي ما حتمت على ابن الأحمر الرضوخ لمطالب الملك القشتالي[1].

ولما تولى ألفونسو العاشر(العالم)(1252-1284م) الحكم، قاد العديد من الحملات العسكرية اتجاه مملكة غرناطة، وحقق العديد من الانتصارات وعزم على ضم أكبر عدد من الأراضي والقلاع الغرناطية، وفي تلك الظروف لم يجد محمد بن الاحمر بدا سوى مهادنته، والتقرب منه، فعقد معه في سنة 1267م/665هـ، معاهدة سلم أخرى، تنازل له من خلالها على العديد من القلاع المهمة في الجهة الغربية[2].

1.2- التحالف المريني الغرناطي ونتائجه:

وبالرغم من المعاهدة الموقعة بين الطرفين إلا أن حملات الملك القشتالي المخربة لم تتوقف، وفي هذه الأثناء لم يجد السلطان الغرناطي محمد الفقيه(1272-1301م/ 671-701 هـ)، من حل سوى الاستنجاد ببني مرين[3]، الذين ذاع صيتهم مغربا ومشرقا في تلك الفترة، فبعث الفقيه برسالة استغاثة إلى السلطان المريني أبي يوسف يعقوب(685-698هـ/ 1285-1296م)(المنصور)، وأعلمه بأحوال غرناطة، والخطر الذي أصبح يشكله عليهم الملك القشتالي. وأمام توالي رسائل الاستنجاد من طرف أعيان غرناطة، استجاب السلطان المريني لطلبهم، وطمأن السلطان الغرناطي بالجواز إلى الأندلس ومقارعة الملك القشتالي[4].

---

1 - يوسف أشباخ، المرجع السابق، ج2، ص 193؛ عبد الله عنان، نهاية الاندلس، ص 43.

2 - يذكر ابن الخطيب أن هذه المعاهدة كانت في سنة 662هـ.(انظر: الاحاطة، ج1، ص 99).

3- يعود نسبهم إلى قبيلة زناتة البربرية. كان بنو مرين من أشهر قبائل زناتة وأشرفها نسبا، ونظرا لما اشتهروا به من تنقلات ونجاحات، رأى الموحدون ضرورة الاستفادة منهم فكانوا من أشهر حلفائهم، وقد أبلوا بلاء حسنا في كل المعارك التي خاضوها مع الموحدين، ولما دب الضعف داخل هذه الأخيرة، قاموا بالاستقلال عنها، وأعلنوا قيام دولتهم في سنة 668هـ/1269م، وأصبحوا قوة في المغرب، واستطاعوا الانتصار على الزيانيين في العديد من المعارك ودحر الحفصيين، كما شاركوا بني الأحمر في صراعهم مع الممالك النصرانية خلال عهد محمد بن عبد الحق بن محيو. لكن دولة المرينين لم تبلغ أوجها إلا في عهد أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق بن محيو الذي عرف بالمنصور، والذي استولى على مراكش في سنة 668هـ/1268م. لمزيد من المعلومات عن أصل ودولة بني مرين. (انظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 337؛ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 13).

4 - للاطلاع على رسالة الاستنجاد. (انظر: ابن ابي الزرع، المصدر السابق، ص 140).

وفي صفر 474هـ/ جويلية 1275م، وبعد أن أتم كل الاستعدادات، عبر أبو زيان بن السلطان المريني أبي يوسف إلى الأندلس، وبمجرد نزوله أخذ في استرجاع القلاع والحصون والمدن التي استولى عليها الملك القشتالي حتى وصل مشارف قرطبة، وهناك التقى مع القائد القشتالي الدون نونيو دي لارا- دونونة أو ذننة في المصادر العربية- في واحدة من أعنف المعارك تلقى فيها الجيش القشتالي هزيمة قاسية وقتل قائده نونيو، وكان ذلك في ربيع الاول 674هـ/سبتمبر 1275م. وكان النصر الذي حققه المرينيون في هذه المعركة، أول انتصار يحققه المسلمون على حساب الممالك النصرانية منذ معركة الأرك، وبالرغم من الاختلاف بين المصادر حول عدد القتلى إلا أن عددهم كان كبيرا في الجيش القشتالي[1].

وبعد ذلك توالت الحملات المرينية اتجاه الأراضي القشتالية، بالرغم من الخلاف الذي وقع بين السلطان المريني والسلطان الغرناطي في تلك الفترة. واتقاء لشرهم لجأ الملك القشتالي سانشو الرابع(1284-1295)الى مهادنة السلطان المريني، فعقد معه معاهدة سلم، كان من أهم بنودها: تعهد الملك القشتالي بعدم التدخل في شؤون المسلمين، بالإضافة إلى تعهده بإرجاع الكتب الذي أخذت من المدن الاسلامية بعد استيلاء النصارى عليها. وكان من أهم نتائج هذه المعاهدة: عودة الوفاق بين السلطان المريني والسلطان الغرناطي، وفتح هذا الأخير المجال لمقربي السلطان المريني بتولي المناصب الهامة في البلاط الغرناطي. وكرد فعل على ذلك وخوفا من التحالف الغرناطي المريني، قام الملك القشتالي بالعمل على افساد العلاقة بينهما، وطلب من السلطان الغرناطي محالفته، ووعده بإرجاع جزيرة طريف إليه إن هو نجح في أخذها من المرينيين، فقبل السلطان الغرناطي طلبه، لكن الملك القشتالي لم يخرج عن سياسة سابقيه في نكث الوعود ومخالفة العهود، فبمجرد نجاحه في أخذ جزيرة طريف رفض إعادتها إلى السلطان الغرناطي، عندها أدرك هذا الأخير فداحة الخطأ الذي ارتكبه في محالفة الملك القشتالي والوثوق في عهوده، فما كان منه إلا أن ولى وجهه شطر السلطان المريني مرة أخرى وطلب محالفته[2].

1 - ابن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، المطبعة السلفية، القاهرة، 1347هـ، ص4؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 255؛ ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 144.

2- ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص265.

وبعد ذلك سير الملك القشتالي في أواخر سنة 709هـ/1310م، حملة عسكرية اتجاه ثغر جبل طارق، وبعد حصاره لأشهر متتالية نجح في ضمه، وبذلك فقد المسلمون واحدا من أهم الثغور الأندلسية، وكان تأثيره كبيرا على مملكة غرناطة باعتباره مهبط الجيوش والمساعدات المغربية، وظهر تأثير ذلك من خلال قيام الملك القشتالي بمهاجمة الحصون القريبة منه. وفي تلك الظروف وأمام تنامي الخطر القشتالي لم يجد السلطان الغرناطي محمد الثالث (701-709هـ/ 1301 -1310م) (المخلوع)من حل سوى مهادنة الملك القشتالي مرة أخرى ودفع الجزية له، وهو ما أدى إلى سخط العامة عليه، وظهرت الحركات الانفصالية، كانفراد أحد رجاله وهو أبو سعيد بحكم ألمرية وما جاورها من الحصون، وانتهت تلك الأحداث بخلع محمد الثالث[1].

وفي عهد السلطان أبو اسماعيل الأول(713-725هـ/1314-1325م)، استعادت غرناطة هيبتها وقوتها، وذلك بفضل حكمة وشجاعة ملكها، الذي تحالف مع بني مرين من جديد، وتجلت تلك الحكمة والشجاعة، في النصر الكبير الذي أحرزه أمام الجيش القشتالي سنة 718هـ/1318م. وبعد ذلك وجه السلطان الغرناطي العديد من الحملات المخربة اتجاه الأراضي القشتالية، ونجح في استرجاع بعض الحصون المهمة، فاستبشر الغرناطيون بذلك وعمت الأفراح، لكن مقتل اسماعيل الأول من طرف ابن عمه قلب الأمور رأسا على عقب، وعادت الأوضاع إلى ما كانت عليه سابقا، وبمقتله فقدت غرناطة واحدا من أشهر الحكام في تاريخها وأشجعهم[2].

2.2- مملكة غرناطة على شفا المنحدر:

ومن أشهر المعارك التي جرت بين الطرفين في تلك الفترة معركة سالادو(Salado)(نسبة الى نهر سالادو) في أكتوبر 1340م/ جمادى الأولى 741هـ، عندما اجتمع الجيش المريني يقوده السلطان أبو الحسن(731-749هـ/1331-1348م)، والجيش الغرناطي بقيادة السلطان محمد الرابع(يوسف)(725-733هـ/ 1325-1333م)، لمواجهة الجيش القشتالي الذي يقوده الملك ألفونسو الحادي عشر(1312-1350م) وحلفاؤه: بدرو الرابع ملك أراغون(1336-1387م)، وصهره ألفونسو الرابع ملك البرتغال(1291-1357م)، وانتهت المعركة بهزيمة الجيش الاسلامي هزيمة مذلة لم ير مثلها منذ معركة حصن العقاب. ونتج عن تلك الهزيمة: استيلاء الملك القشتالي على

1- ابن الخطيب، اللمحة البدرية، ص62؛ عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص 115.

2- ابن الخطيب، اللمحة، ص 73-74.

عدد من الحصون، كما استولى على واحد من أهم الثغور في الجنوب الأندلسي وهو جزيرة طريف. ثم واصل الملك القشتالي غزواته في الأراضي الغرناطية، وقد أثمرت هذه المرة في استيلائه على الجزيرة الخضراء سنة 744هـ/1344م. وبعد ذلك ومن أجل أن يتفرغ لشؤونه الداخلية، عقد ملك قشتالة ألفونسو الحادي عشر معاهدة سلم مع السلطان الغرناطي والسلطان المريني لمدة عشر سنوات[1].

وفي سنة 765هـ/1363م، نزل ابن خلدون(ت 808هـ/ 1405م) عند السلطان الغرناطي محمد الخامس(762هـ-763هـ/ 1361-1391م)، ففرح به كثيرا وأكرمه، واستغل فرصة وجوده عنده فأرسله الى الملك القشتالي بدرو الثاني(1350-1368م)، للتأكيد على معاهدة السلم الموقعة بينه وبين والده من قبل. وفي تلك الفترة كانت قشتالة تعيش أوضاعا داخلية غير مستقرة، ساعدت السلطان الغرناطي على لم شمله، واسترجاع بعض المدن والقلاع، كالجزيرة الخضراء، ونعمت غرناطة في تلك الفترة بالأمن والاستقرار[2].

وبوفاة السلطان أبي الحجاج يوسف الثالث سنة 820هـ/1417م، ينتهي عصر القوة والاستقرار بالنسبة لمملكة غرناطة، وتدخل في مرحلة الضعف بداية بالسلطان محمد بن يوسف(820-858هـ/1417-1454م)(الأيسر)، حيث شهدت المملكة العديد من الثورات والفتن، وكان تدخل ملوك قشتالة في شؤونها كثيرا، حيث أصبحوا يعينون ويعزلون الحكام متى شاءوا. وتذكر الروايات العربية والأجنبية أن الأيسر عُزل مرتين، وعاد الى الحكم للمرة الثالثة وكان ذلك سنة 835هـ/1432م. ومن مظاهر الضعف كذلك توالي الحملات القشتالية على الأراضي الغرناطية وعيثهم فيها، وانتهت تلك الأحداث بمقتل الأيسر وهو في السجن سنة 858هـ/1454م، فازدادت الأوضاع سوءا، حيث استولى القشتاليون على جبل طارق سنة 867هـ/1462م، وبذلك أحكم النصارى سيطرتهم على مملكة غرناطة، وسهل لهم ذلك القضاء عليها، وما ضاعف من متاعب الأندلسيين سقوط دولة مرين سنة 869هـ/1464م، وهو ما جعلهم يواجهون مصيرهم السيء لوحدهم، واقتناعهم بعدم وصول العون إليهم[3].

1- ابن الخطيب، الاحاطة، ج4، ص 322؛ اللمحة، ص92؛ عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص 127.

2- ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص433

3- عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص 155،165.

وفي الوقت الذي كانت فيه مملكة غرناطة تعيش أسوء أيامها وأحلكها، كانت اسبانيا النصرانية تعيش أجمل أيامها وأحسنها، وذلك باتحاد مملكة قشتالة ومملكة أراغون سنة 1474م، وتم ذلك من خلال زواج فرناندو الخامس(1479-1516م)ملك أراغون بازابيلا شقيقة الملك القشتالي هنري الرابع(1454-1474م)، ومنذ تلك اللحظة ظهر اسم اسبانيا الكاثوليكية بدل قشتالة واراغون. وباتحادهما أصبحت أيام المسلمين بالأندلس معدودة، فبعد أن سووا مشاكلهما مع مملكة البرتغال، استهلا نشاطهما بضم مدينة الحمة(Al hama) سنة 887هـ/1482م، وبعد الحمة جاء الدور على مالقة. ففي صفر 888هـ/1483م، سير الملكان حملة عسكرية اتجاهها، لكن حاكمها (الزغل) عم السلطان أبو عبد الله هزم الجيش النصراني شر هزيمة وعاد أدراجه[1].

وفي تلك الفترة خرج السلطان أبوعبد الله محمد في احدى غزواته لكنه هزم، ووقع أسيرا لدى القشتاليين، ولم يطلق الملك فرناندو الخامس سراحه إلا بعد سنتين من الأسر، وكان قبل ذلك قد اتفق معه على جملة من الشروط أهمها: اعترافه وطاعته للملكين الكاثولكيين، وتعهده بدفع جزية كبيرة قدرت ب10 ألاف دوبلا من الذهب، وأن يقدم ابنه الأكبر كرهينة، وبذلك جعل السلطان الغرناطي مصير المملكة في يد الملكين، وأصبح سقوطها أمر لا مفر منه. وبعد ذلك دخل أبو الله في صراع مرير مع عمه الزغل حول العرش، فاستغل فرناندو الخامس ذلك في تكثيف حملاته، وضم ما بقي من الحصون والمدن. ففي سنة 891هـ/1486م، سير حملة عسكرية اتجاه مدينة لَوشَة، وبالرغم من صمود أهلها في الدفاع، إلا أن ذلك لم يطل، فدخلها الملك الاسباني، ثم واصل مسيره نحو غرناطة، فاستولى على معظم الحصون والقلاع القريبة منها[2].

وبعد لوشة جاء الدور على مالقة، حيث سير إليها الملك الاسباني فرناندو الخامس في جمادى الثانية892هـ/1487م، حملة عسكرية، وما إن وصلها الجيش الاسباني حتى ضرب عليها حصارا بريا وأخرا بحريا، عانى خلاله أهل مالقة كل أنواع المحن والشدائد، وهو ما أجبرهم على تسليم المدينة، بعدما اتفقوا مع الملك الاسباني أن يؤمنهم في أنفسهم وأملاكهم، وأن يسهل لهم أمر المسير نحو أي مدينة اسلامية كانت. وبمجرد دخولها ضرب الملك الاسباني تلك العهود عرض حائط، وارتكب في

1- ابن الخطيب، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، ضبطه وعلق عليه الفريد البستاني، مكتبة الثقافة الدينية، الظافر، 2002،ص 6-11؛ عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 194،204 .

2 - ابن الخطيب، نبذة العصر ، ص 12-17.

حق المالقين أبشع الجرائم ونكل بهم شر تنكيل. وعبر ابن الخطيب على تلك الأحداث بقوله:" وكان مصابهم عظيما تحزن له القلوب، وتذهل له النفوس وتبكي لمصابهم العيون"[1].

3.2- سقوط غرناطة ونهاية الوجود الاسلامي بالأندلس:

وبعد أن نجح الملكان في ضم كل المدن والحصون الشرقية والجنوبية، لم يبق لهما إلا غرناطة آخر معقل للمسلمين في الأندلس. ففي سنة 895هـ/1490م، وجه فرناندو الخامس رسالة الى السلطان أبي عبد الله يطلب منه تسليم المدينة، وذلك تنفيذا للوعد الذي أعطاه له أبو عبد الله في أخر معاهدة عقدها معه[2]، إلا أن السلطان الغرناطي رفض تسليم المدينة، وقرر الدخول في حرب مع الملكين، لكن تدخل أشهر رجاله ونصيحتهم له جعلته يعود عن قراره. وبعد ذلك بعث وزيره ابن كُماشة إلى الملك الاسباني فرناندو الخامس يطلب منه العدول على مطلبه، واحترام البنود الموقعة بينهما، لكن رفض هذا الأخير لمطلبه جعل الحرب بين الطرفين أمرا لا مفر منه[3].

وفي سنة 895هـ/ 1490م، سير الملك الاسباني حملة عسكرية اتجاه غرناطة، وخلال مسيره إليها خرب وعاث في كل ما وجده في طريقه، حتى وصل أسوار غرناطة فخرج السلطان الغرناطي لمواجهته، فاقتتل الجيشان في أكثر من معركة، تلقى فيها فرناندو هزائم مذلة، وهو ما دفعه للانسحاب والعودة من حيث أتى. أما السلطان الغرناطي أبو عبد الله فقد دفعته لذة تلك الانتصارات للخروج من غرناطة واسترجاع بعض الحصون والقلاع القريبة منها. وكرد فعل على ذلك صمم الملك الاسباني على دخول غرناطة ولو قتل عند أسوارها، فأخذ يستعد لذلك أحسن استعداد، وجهز جيشا فاق تعداده الخمسين محارب بين فارس وراجل. وفي جمادى الثانية 896هـ/1491م، سار نحوها، وبمجرد وصوله عند أسوارها ضرب عليها حصارا شديدا، ومنع وصول الامدادات اليها. وبالرغم من شدة ذلك الحصار، وطول مدته التي استمرت لأشهر متتالية، إلا أن سكان غرناطة لم يستكينوا، وخرجوا في العديد من المرات وواجهوا الجيش الاسباني، وهزموه في العديد من المعارك، وقد تحدثت المصادر العربية والأجنبية عن بسالة أهل غرناطة في الدفاع عن مدينتهم، وأمام ذلك الصمود

---

1 - نبذة العصر، ص24.

2- ينفي ابن الخطيب هذا الوعد ويقول بأن غرناطة كانت في تلك الفترة في صلح مع الملك الاسباني فرناندو.(نبذة، ص 28)؛ أما الروايات الأجنبية فتقول أن المعاهدة الأخيرة التي تمت بين الطرفين نصت على أن يسلم السلطان أبو عبد الله غرناطة للملك الاسباني عند انتهاء مدة الصلح. (عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص 230).

3- عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص 231.

والمقاومة من طرف الغرناطيين، واصل فرناندو الخامس تشديد الحصار على المدينة واستعمل كل الوسائل من أجل دخولها، ومع طول مدة الحصار التي فاقت السبعة أشهر، وهلاك الناس بسبب الجوع بعدما أكلوا كل شيء، وانتشار الأمراض بينهم: اجتمع أبو عبد الله مع رجال بلاطه، وعرض عليهم مشروع تسليم المدينة، فقبلوا عرضه، وذلك بالنظر للحالة التي وصل إليها أهل غرناطة، وكُلف الوزير أبو القاسم عبد الملك بمهمة الخروج إلى الملك الاسباني فرناندو، والتفاوض معه حول شروط تسليم المدينة. وبعد أن تم الاتفاق حول الشروط، وقع الطرفان في نوفمبر 1491م/محرم 897هـ، على وثيقة التسليم[1]، وقد تضمنت هذه الوثيقة ست وخمسون مادة[2].

وفي 2جانفي 1492م/2 ربيع الأول 897هـ، سلم أبو عبد الله مفاتيح قصر الحمراء للملك الاسباني دون أن ينتظر المدة المتفق عليها في وثيقة التسليم. وبدخول فرناندو الخامس لغرناطة يكون المسلمون قد فقدوا آخر معقل لهم بالأندلس، وانتهى وجودهم بتلك البلاد التي استقروا بها لأكثر من ثمانية قرون، بنوا خلالها حضارة شامخة يشهد لها العدو قبل الصديق. وبعد دخول الملك الاسباني انقسم أهل غرناطة بين من أراد البقاء فيها، ومن أراد المسير نحو العدوة المغربية حفاظا على دينه وأهله. ولم يمض الكثير حتى انقلب ملكا اسبانيا على المسلمين الذين فضلوا البقاء، وأجبروهم على التنصر أو الهجرة، فهاجر منهم من هاجر ومن بقي عاش أسوء الأيام وأحلكها، وذلك من خلال تعنت محاكم التفتيش.

1- ابن الخطيب، نبذة العصر، ص 244.

2- للاطلاع على بنود تلك المعاهدة. (انظر: عبد الله عنان، نهاية الاندلس، ص 252وما بعدها من الصفحات).

المحور الحادي عشر: العلاقات التجارية بين دول الغرب المسيحي والمغرب الاسلامي(الجمهوريات الايطالية نموذجا)

1- عوامل تنشيط العلاقات التجارية بين الطرفين:

عرفت أوربا خلال القرن الثاني عشر الميلادي ظهور ما يسمى بالقومونات[1] (Commune) الايطالية أو الجمهوريات الايطالية(جنوة، بيزا، البندقية....الخ). ولم يمض الكثير حتى أصبح أهل تلك المدن من أشهر الشعوب البحرية، وتجلى ذلك في اقامتهم لأساطيل بحرية قوية ساعدتهم على دخول عالم البحر المتوسط والتوسع فيه. وبعد استحالة تحقيق هدفها في الاستيلاء على المدن المغربية الساحلية عسكريا، ومن أجل تحقيق مصالحها ومصالح رعاياها هناك، غيرت المدن الايطالية من سياستها اتجاه بلاد المغرب، وأقامت علاقات تجارية مع حكامه. ومنذ الوهلة الأولى عرفت تلك العلاقة رواجا ونشاطا كبيرا، لكن ذلك لم يكن ليحدث لولا وجود مجموعة من العوامل التي ساهمت في ذلك أهمها:

- المعاهدات التجارية:

ومن أجل تنظيم العلاقات التجارية بينهما، وتجنب الوقوع في بعض المشاكل كالقرصنة والسرقة وحماية تجارها. عقد الطرفان مجموعة من الاتفاقيات والمعاهدات نذكر على سبيل المثال لا الحصر، المعاهدة التي عقدت بين جمهورية بيزا(Pisa) [2]، والمرابطين سنة 1133/527م، وهي أقدم معاهدة تمت بين الطرفين، ومن أهم ما تضمنته تلك المعاهدة: توفير الأمن لتجار بيزا، وتسهيل المبادلات

[1]- هي المدن التي ارتبط عناصر سكانها في حلف، وحصلوا على استقلالهم عن طريق ثورة مسلحة، وقد درج المؤرخون على إطلاق هذه التسمية على المدن التي تمتعت بنفوذ سياسي مستقل، بمعنى أن سكانها يختارون حكامهم وموظفيهم بأنفسهم دون أن يفرض عليهم ذلك حاكم أو ملك من خارج المدينة. أما التزامات القومون نحو السلطة العليا في الدولة كالإمبراطور أو الملك أو الأمير، فكانت تحدد بمبلغ معين من المال يدفع سنويا، وقسط معلوم من الخدمة العسكرية. لمزيد من المعلومات عن القومون وظروف نشأته. (انظر: سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ج2، ص 105- 107).

[2] – مدينة ايطالية تقع شمال مدينة روما محاذية للبحر المتوسط. (انظر: أبا الفدا، المصدر السابق، ص 209).

التجارية بين الطرفين، وكانت تلك المعاهدة واحدة من المعاهدات الكثيرة التي عقدت بين الطرفين الى غاية القرن الخامس عشر الميلادي[1].

- الأسواق:

تعتبر الأسواق المحرك الأساسي لعملية المبادلات التجارية، وقد اشتهرت بلاد المغرب بالعديد من الأسواق سواء اليومية أو الاسبوعية، كسوق تونس وسوق تلمسان الذي كانت تباع فيه كل السلع. وبالمغرب الأقصى اشتهرت فاس بأسواقها الكثيرة والمتنوعة.

- الفنادق:

الفندق عبارة عن محل يقيم فيه الأشخاص والتجار من خارج المدينة، وبالإضافة الى ذلك فقد احتوت الفنادق في تلك الفترة على أماكن لتخزين السلع وحفظها. وكان لهذه الفنادق دور كبير في تنشيط الحركة التجارية بين العالمين المسيحي والاسلامي. وتوفرت بلاد المغرب على العديد من الفنادق نذكر على سبيل المثال: فنادق تونس، قسنطينة، تلمسان، فاس..الخ. وعبر الحسن الوزان على وجود الفنادق بتونس بقوله:" ثم امتد ربض آخر خارج باب البحر على بعد نحو نصف ميل من بحيرة قناة الواد ينزل به التجار الأجانب أمثال الجنويين والبنادقة والقطلونيين ولهم فيه فنادق وملاجئ خاصة"[2]. وبالمغرب الأوسط اشتهرت فنادق تلمسان ووهران. أما في المغرب الاقصى فقد اشتهرت مدينة فاس بكثرة فنادقها التي كانت تزيد عن مائتا فندق[3].

---

[1]- للاطلاع على نماذج من هذه المعاهدات . انظر: Charles Emmanuel Dufourcq , L'Espagne Catalane Et Le Maghrib Aux 13 et 14 Siécles , Presses Universitaires De France , Paris , 1966; M. L. De Mas latrie, Traités De Paix Et De Commerce Avec Les Arabes D'Afrique Septentrionale Au Moyen Age, Paris, 1866.

[2]- الحسن الوزان(الحسن بن محمد الفاسي): وصف افريقيا، ترجمة عن الفرنسية محمد حاجي ومحمد الاخضر، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ظ2، 1983، ج2، ص 74.

[3]- نفس المصدر، ج1، ص 231.

– القنصليات:

ومن المؤسسات التي كان لها دور في تنشيط عملية التبادل التجاري بين الطرفين، وجود القناصل، حيث كان هذا الأخير بمثابة القاضي، من خلال حله للنزاع القائم بين التجار، كما كان يقوم بحفظ مال التاجر في حالة وفاته أو سجنه، كما كان لهؤلاء القناصل الحق في تحصيل ايرادات الجمارك في المدن المغربية، بالإضافة الى حل المشاكل التي كانت تصيب التجار الأجانب. وقد وجد هؤلاء القناصل في كل المدن المغربية التي وجد فيها التجار الأجانب تقريبا[1] .

– الموانئ والسفن البحرية:

اشتهرت بلاد المغرب بتوفرها على العديد من الموانئ البحرية التي كان لها دور كبير في تنشيط العلاقات التجارية بين الطرفين، ولأن المقام لا يسع لذكر تلك الموانئ والمدن البحرية لكثرتها، فسنكتفي بالإشارة الى بعضها دون الخوض في التفاصيل. فمن هذه الموانئ نذكر ميناء تونس الذي كان مصدر جذب للتجار الأجانب نظرا لما توفر عليه من خصائص أهمها قدرته على استيعاب عددا كبيرا من السفن، حيث رسا به في أحد الأيام أكثر من سبعين جفنا للبنادقة وثلاثة وعشرين للقطلان(الأراغونيين)[2] .وبالمغرب الأوسط اشتهر ميناء هنين القريب من تلمسان، حيث كان مقصد السفن المسيحية عامة والمدن الايطالية خاصة، وتكلم الحسن الوزان عن ذلك بقوله:" وتأتي إلى هذا الميناء سنويا سفن شراعية من البندقية تحقق أرباحا جسيمة مع تجار تلمسان"[3]. أما في المغرب الأقصى فقد كان ميناء سبتة أشهر موانئها، ومقصد التجار الأجانب كالقطلان والايطاليون والفرنسيون، كما كان ملتقى للتجار المغاربة والأندلسيين[4].

---

[1]– لمزيد من المعلومات حول ذلك.(انظر: M. L. De Mas latrie ,op.cit, p.86).

[2]– ابن قنفد (أبو العباس أحمد بن قنفد القسنطيني): الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، 1968م، ص 152.

[3]– الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 15.

[4]– أمين توفيق طيبي، تاريخ مدينة سبتة، منشورات جمعية الدعوة الاسلامية، ليبيا، 1989م، ص 21.

أما السفن البحرية(الأسطول البحري)، فقد أدركت المدن الايطالية منذ الوهلة الأولى أن قيام تجارة بحرية مزدهرة لا يتأتى إلا عن طريق صناعة سفن جديدة ومتنوعة، فظهرت سفينة غالي (Gally) الطويلة، وسفينة ترانتا (Taranta).....الخ، وأصبحت هذه السفن متعددة المهام تستخدم للحرب وقت الحرب، وللتجارة وقت التجارة، كما استخدمها الايطاليون لنقل الجيوش الصليبية الى بلاد المشرق الاسلامي، وكان للتطور الذي شهده علم الفلك وظهور آلات جديدة دور كبير في تأدية تلك السفن لمهامها بنجاح[1].

2- المبادلات التجارية

1.2- الصادرات

- الحبوب والمنتجات الفلاحية:

اشتهرت بلاد المغرب منذ القدم بإنتاجها الكبير للحبوب، وذلك لتوفرها على أجود أنواع التربة، وبسبب توفر هذا المنتوج وتحقيق الاكتفاء الذاتي منه في أغلب الاوقات، كانت الحبوب (القمح، الشعير، الحنطة)تصدر الى الدول الأوربية من بينها الجمهوريات الايطالية التي كانت تقبل على اقتناء هذه المادة بشكل كبير، وبالإضافة الى الحبوب، فقد صدر المغاربة الى هؤلاء الزيت بسبب وفرة أشجار الزيتون[2].

- الأصواف والجلود والشمع ومواد أخرى:

إن اهتمام المغاربة بتربية الأغنام ورعايتها أدى إلى وفرة الجلود والأصواف، حيث اشتهرت كل من تونس والمهدية وتلمسان وأصيلا بإنتاج تلك المادة، وكانت تصدرها إلى مدن جنوب غرب أوربا.

[1]- لمزيد من المعلومات حول ذلك.(انظر: عادل زيتون، العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دار دمشق، 1980م،ص 55-58).

[2] - لطيفة بشاري، العلاقات التجارية للمغرب الأوسط في عهد إمارة بني عبد الواد من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجريين/13-16م، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011م، ص 196-199.

أما الشمع فقد اشتهرت بجاية بإنتاجها الوفير له، وبسبب ذلك سميت ببجاية (Bougie)،التي تعني الشمعة. وصدرت بلاد المغرب العديد من المنتجات الفلاحية كالتين المجفف والزبيب والتمور الذي اشتهرت بعض المدن بإنتاجه كقفصة وواحات ورقلة وسجلماسة. وصدرت بلاد المغرب كذلك لمدن الغرب اللاتيني بما فيها الجمهوريات الايطالية العقاقير والتوابل كالفلفل، ومادة الشب الذي كان الأوربيون يقبلون عليه بكثرة وذلك لاستعمالاته المختلفة، كما صدرت بلاد المغرب بعض المنتجات الوافدة من بلاد السودان كريش النعام والمسك والعنبر والصمغ والزجاج[1].

– الذهب:

كان الذهب يجلب من المنطقة التي سيطرت عليها مملكة مالي وغانا(بلاد السودان الغربي)،وكان يجلب على نوعين تبر وسبائك. وقد احتلت تلمسان صدارة الدول المصدرة له إلى الدول الغرب اللاتيني، ونظرا لقيمته ومكانته بين سائر المعادن الأخرى فقد أقبل عليه التجار المسيحيون بشكل كبير وحققوا في تجارته أرباحا كبيرة، وبسبب وصوله الى الجمهوريات الايطالية بكثرة، فقد قضت هذه الأخيرة على مشكلتها مع معدن العملة. ولم تقتصر تجارة الذهب على البيع والشراء فقط، بل كان التجار الأجانب يقايضونه بمادة الملح.

– العبيد:

كانت تلمسان خاصة في العهد الزياني المركز الرئيسي لوجود هؤلاء العبيد الذين كانوا يجلبون من بلاد السودان، وبسبب حاجة المدن الايطالية ودول الغرب اللاتيني بشكل عام الى هؤلاء العبيد لتوظيفهم في مختلف المجالات، قصد تجار تلك الدول تلمسان للحصول عليهم[2].

1 – روبار برونشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م، ج2، ص 274؛ لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص 203، 212، 216.
2 – لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص 214.

2.2- الواردات :

هذا فيما يخص المواد التي كانت بلاد المغرب تصدرها للجمهوريات الايطالية ودول الغرب اللاتيني عامة. أما واردات المغاربة من هذه الأخيرة فقد تمثلت فيما يلي: الأسلحة، حيث استورد المغاربة الأسلحة التي لم تكن تنتج محليا كالخردوات والرماح والخناجر...الخ . وبما أن الايطاليين برعوا في صناعة السفن وملحقاتها، فقد استوردها المغاربة منهم، وبالرغم من منع الكنيسة تصدير السفن والأسلحة للمسلمين بسبب الصراع الذين كان بين المسيحين والمسلمين في تلك الفترة(الحروب الصليبية في المشرق وحروب الاسترداد في الأندلس)، إلا أن تلك التجارة لم تتوقف حتى ولو تمت سرا. كما استورد المغاربة العديد من المصنوعات النسيجية والحريرية والقطنية كالأغطية والأقمشة التي كانت تصنع عند الايطاليين، أو التي كانوا يستوردونها من البلدان المجاورة كفلورنسا والفلاندرز واللانجدوك . كما استورد المغاربة المواد الأولية في الصناعات النسيجية كالخيوط المذهبة والمفضضة، بالإضافة الى الأواني الزجاجية والعطور ومواد الطيب ومواد الصباغة[1].

3- وسائل التعامل التجاري:

لا تقوم عملية التبادل التجاري بين أي طرفين إلا بتوفر مجموعة من الوسائل التي من شأنها أن تسهل تلك العملية، ومن بين أهم تلك الوسائل نذكر:

- العملة:

تعتبر العملة مرآة عاكسة لقوة وضعف النظام الاقتصادي لأي دولة كانت، وفي الفترة التي بدأت فيها المبادلات التجارية بين المغاربة والجمهوريات الايطالية، كان الدينار المرابطي هو العملة المتداولة في بلاد المغرب، ومنذ أن تم سكه اهتم المرابطون بهذا الدينار وحرصوا على اختيار نوعية جيدة من الذهب لضربه، وعينوا رجالا أكفاء بدار السكة يشرفون على ذلك من البداية إلى النهاية،

1 - لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص 225.

وكان وزنه يعادل ما بين 4و 4،2 غراما من الذهب، وبسبب كل ذلك ذاعت شهرة الدينار المرابطي داخل بلاد المغرب وخارجها، وأصبح التجار الأجانب يصرون على التعامل به، وبقي هذا الدينار متداولا حتى سقوط الدولة[1].

وسار الموحدون على نفس سياسة المرابطين فيما يخص الاهتمام بقيمة ومكانة العملة، فضربوا دينارا جديدا يسمى بالدينار الموحدي، وأصبح يعادل4،6 من الذهب، وعرف عند التجار الأجانب بدوبلة أو دبلون (Dobla)، كما ضرب الموحدون عملات فضية أخرى. وحافظت الدول التي ورثت دولة الموحدين(الحفصيون، الزيانيون، المرينيون) على الدينار الموحدي وبقيت تتعامل به، كما حافظ هذا الدينار على شكله وقيمته، وبسبب ما تميز به هذا الأخير من خصائص فقد كسب ثقة التجار الأجانب، وكان مطلبهم أن يتم التعامل بالدينار المغربي سواء كان حفصيا أو زيانيا أو مرينيا[2]. ومنذ النصف الثاني من القرن 7هـ/13م، وبسبب توفرها على الذهب القادم من بلاد المغرب شرعت دول الغرب اللاتيني عامة والجمهوريات الايطالية خاصة في سك العملات الذهبية، فضرب الجنويون الجانينيو (janunio) أو الجينوفينا (Genovina) الذي كان يزن 3.5 غراما من الذهب، وضرب البنادقة الدوكا البندقي ، أما الأراغنيون فقد ظلوا يتعاملون بالدينار المغربي حتى القرن(14م)[3].

– المكاييل والموازين:

وإلى جانب العملة هناك المكاييل والموازين التي تعتبر وسيلة أساسية في عملية التبادل التجاري، ومثل العملة، بقيت المكاييل والموازين المستعملة ببلاد المغرب خلال عصر المرابطين هي نفسها عند الموحدين ثم الدول الثلاث الأخرى، وبسبب اختلاف قيمتها من منطقة الى أخرى عمل الأمراء والخلفاء على ضبطها وتوحيدها. ومن الموازين التي كانت موجودة ببلاد المغرب نذكر: المثقال،

1- عيسى بن الذيب، المغرب والأندلس في عصر المرابطين دراسة اجتماعية واقتصادية(480-540هـ/1056-1145م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر،2009،ص377.

2 - روبار برونشفيك، المرجع السابق، ص 72.

3- لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص 187.

الدرهم، الأوقية...الخ. أما المكاييل فكان هناك الصاع، المد، الرطل، القنطار..الخ. أما المقاييس فقد وجدت العرصة، الصنج، المرجع[1]. كما نقل تجار المدن الايطالية بعض المكاييل والمقاييس إلى بلاد المغرب وتعاملوا بها هناك كوحدة الكانة(Cana)، التي كانت تستعمل لقياس الأقمشة بشتى أنواعها[2].

4- العوامل المؤثرة في العلاقات التجارية بين الطرفين:

- القرصنة:

كان من نتائج الضعف الذي عرفته دولة الموحدين وانقسامها بعد ذلك تنامي ظاهرة القرصنة البحرية، وأصبح البحارة المسيحيون، وخاصة الايطاليون يشنون حملات القرصنة على السواحل المغربية باستمرار. وعبر ابن خلدون على ذلك بقوله": ولما هلك أبو يعقوب المنصور، واعتلت دولة الموحدين واستولت أمة الجلالقة(الممالك الاسبانية) على أكثر من بلاد الأندلس، وألجأوا المسلمين إلى سيف البحر، وملكوا الجزائر التي بالجانب الغربي من البحر الرومي قويت ريحهم في بسيط هذا البحر، واشتدت شوكتهم وكثرت فيه أساطيلهم وتراجعت قوة المسلمين فيه إلى المساواة معهم "[3].

أثرت عملية القرصنة كثيرا على العلاقات التجارية بين الطرفين، وكانت بلاد المغرب الأكثر تأثرا خاصة بعد القرن الثاني عشر الميلادي(ضعف دولة الموحدين)، حيث وجدت السفن الجنوية والبيزية باستمرار أمام السواحل المغربية للإغارة على المدن والسفن. وللحد من هذه الظاهرة عقد الطرفان العديد من الاتفاقيات والمعاهدات وتبادلا الرسائل من أجل ذلك[4] .

1- لمزيد من المعلومات حول ذلك. (انظر: لطيفة بشاري، المرجع السابق، ص 190-195).

2 - روبار برونشفيك، المرجع السابق، ج2، ص 263.

3- المصدر السابق، ج1، ص 317.

4- معظم المعاهدات والرسائل التي تمت بين الطرفين خاصة في الفترة المذكورة تطرقت لتلك الظاهرة.

– الحروب:

يعتبر الاستقرار السياسي عامل مهم في تقدم الشعوب وتطورها، والعكس يحدث إذا لم يتوفر ذلك العامل، وبلاد المغرب كباقي المناطق والدول عرفت خلال العصر الوسيط العديد من الأحداث والحروب أثرت على أوضاعها العامة. ومن تلك الحروب التي شهدتها بلاد المغرب خاصة في الفترة التي عرفت فيها العلاقات التجارية مع الغرب اللاتيني روجا كبيرا نذكر: الصراع الذي كان بين الدول الثلاث(الحفصيون، الزيانيون، المرينيون)، ومحاولة كل واحدة منهم التوسع على حساب الأخرى كلما سمحت لها الفرصة. ونفس الشيء حدث مع الجمهوريات الايطالية التي كانت في الكثير من الأحيان تتصارع فيما بينها، كالصراع الذي حدث بين بيزا وجنوة سنة 1284م، وكان من نتائجه تحطم الأسطول البيزي في معركة ملوريا الشهيرة، وكثيرا ما كانت الموانئ المغربية تُقحم في هذا الصراع فيكون تأثير ذلك كبيرا على هذه الموانئ[1].

– الكوارث الطبيعية والأوبئة:

ومن العوامل التي كانت تعرقل عملية التبادل التجاري بين الطرفين نذكر: العوامل الطبيعية، ويأتي في مقدمتها هيجان البحر وقوة تياراته، بالإضافة الى وجود الضباب وسطه في بعض الأحيان، وأدت تلك الحالة أحيانا إلى غرق السفينة بكاملها، وأحيانا ينجو الركاب وترمى الحمولة وسطه، وأكثر ما كانت تحدث تلك الحالات في فصل الشتاء حيث تشتد الرياح، فتؤدي الى هيجان البحر وعلو أمواجه[2]. وبالإضافة الى ذلك، هناك بعض الآفات التي كانت تصيب المحاصيل الزراعية فتؤدي إلى إتلافها، كالجراد الذي اجتاح تلمسان سنة 678هـ/1280م، وقضى على جميع محاصيلها. هذا بالإضافة الى الحرائق والزلازل والمجاعات التي شهدتها بلاد المغرب في تلك الفترة كمجاعة سنة

1- روبار برونشفيك، المرجع السابق، ج1، ص 122.

2 – مجدي ياسين عبد العال سلام، العلاقات التجارية بين دولة بني مرين والجمهوريات الايطالية(جنوة، بيزا، البندقية)، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في الآداب، جامعة الزقازيق، 2005م، ص 55.

676هـ/1373م، والتي فتكت بالسكان. الا أن أعظم وباء شهدته بلاد المغرب ودول العالم عامة هو الموت الأسود او الطاعون الاسود الذي ضرب العالم خلال القرن (14م) والذي أدى إلى هلاك خلق كثير[1] .

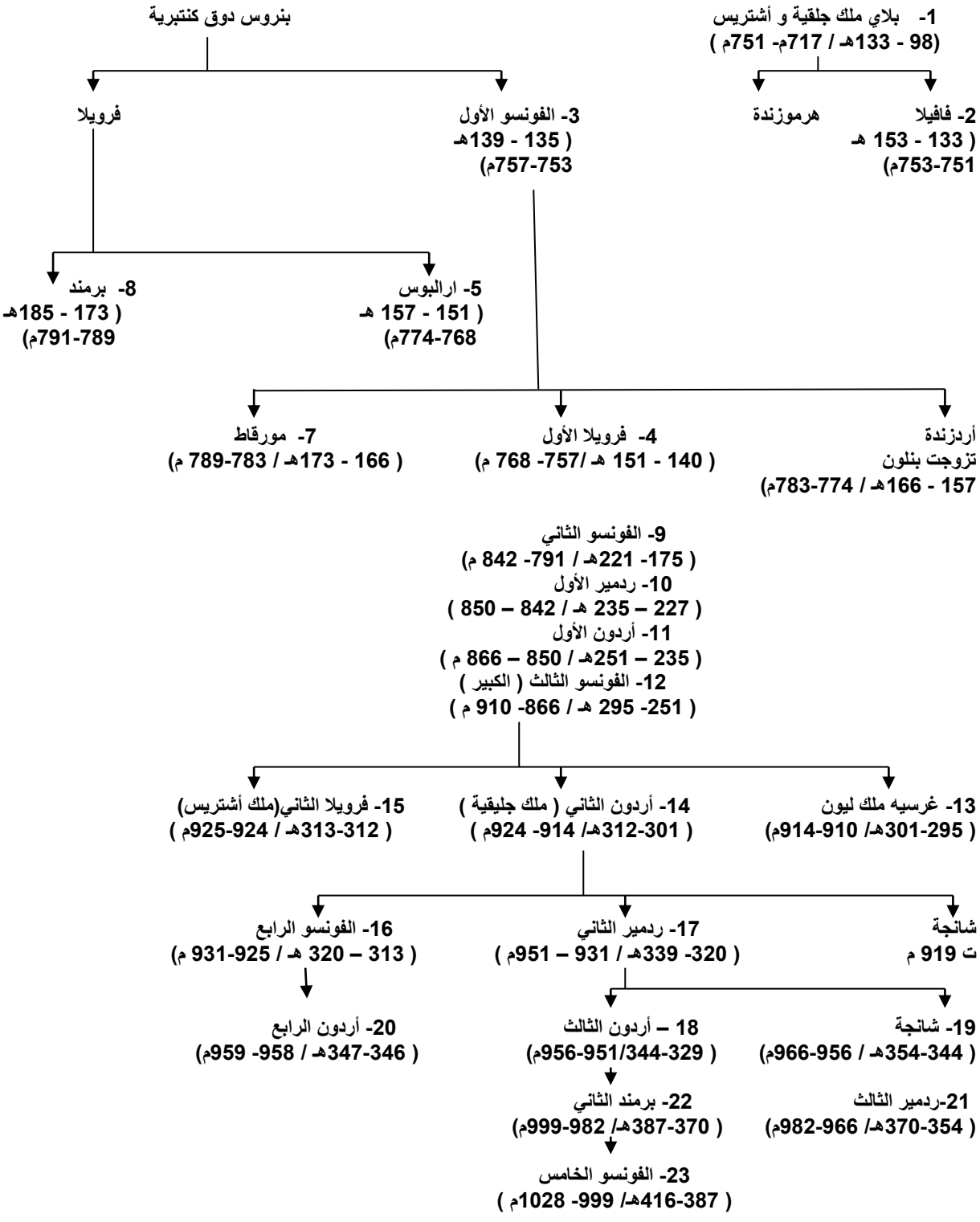
1 – لمزيد من المعلومات حول ذلك.(انظر: سمية مزدور، المجاعات والاوبئة في المغرب الاوسط (588-927هـ/1192-1520م)، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الوسيط،جامعة قسنطينة، ص136).

ملـــــــحق رقم (1)

ملحق لأمراء وملوك الممالك النصرانية حتى نهاية القرن (5هـ/11م)

جدول رقم 1

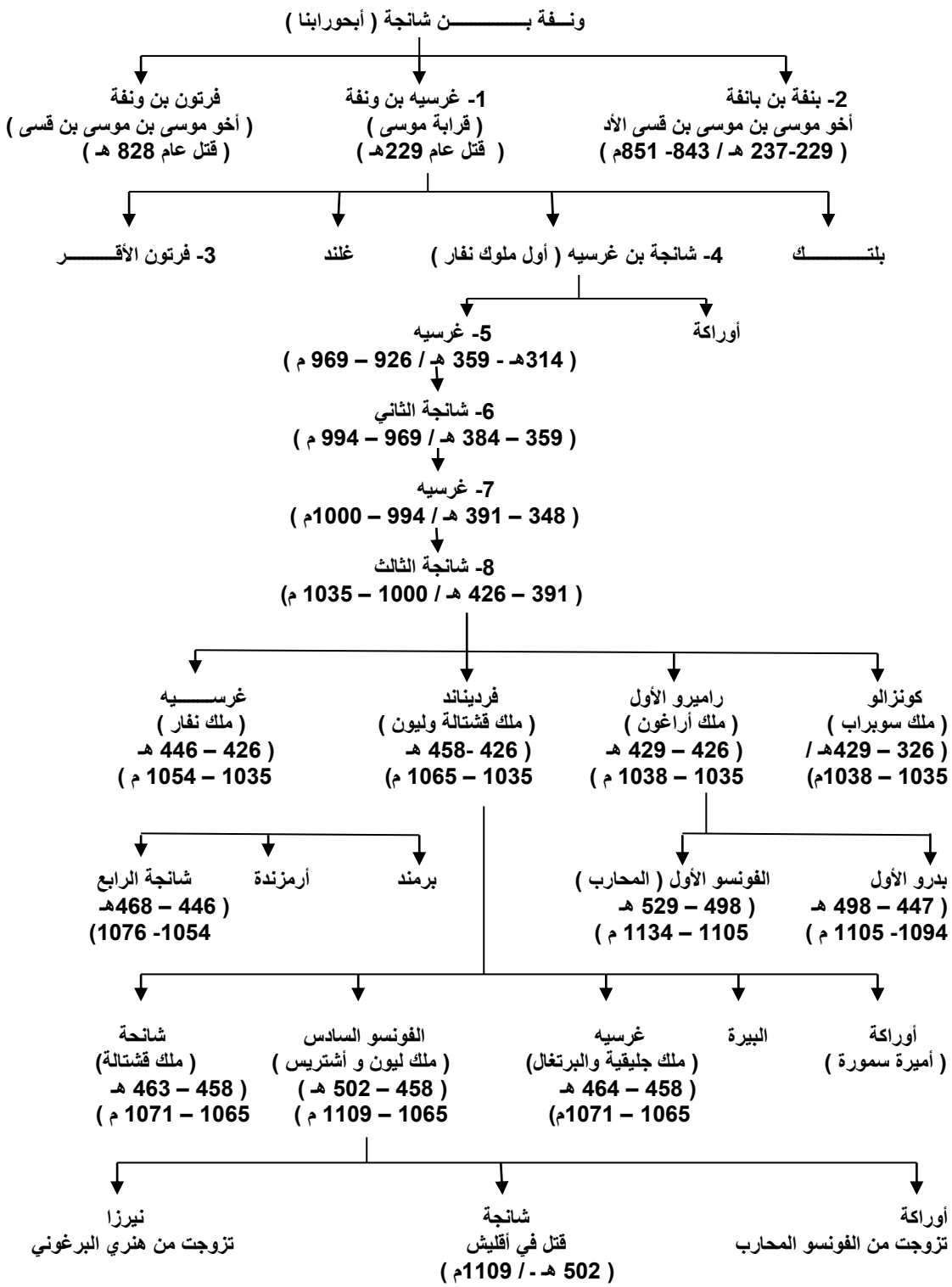
ملوك ليون (جليقية و أشتريس)



24- برمند الثالث
(416-426 هـ / 1028- 1038 م)

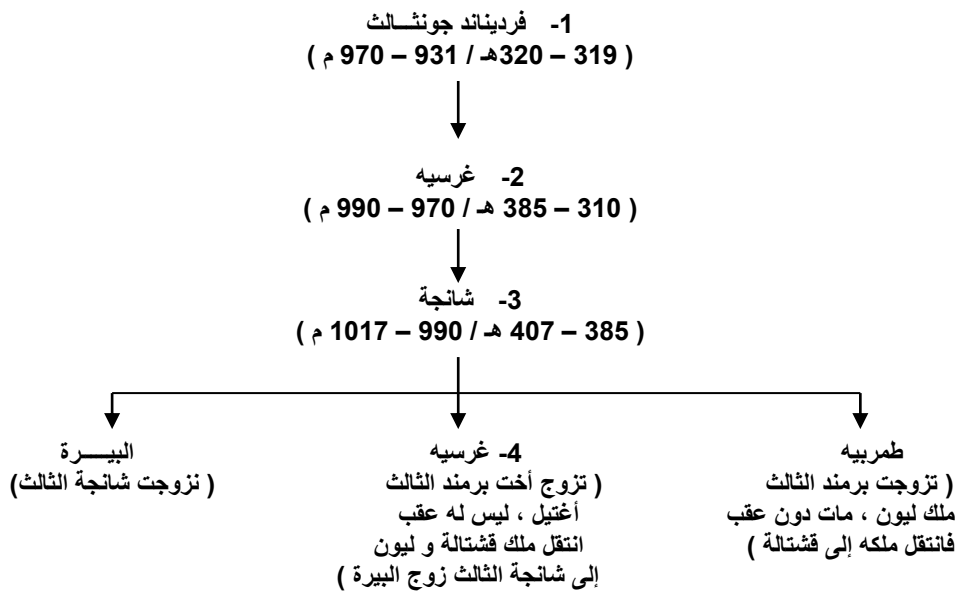
جدول رقم 3

ملوك نبـــرة (نفار)



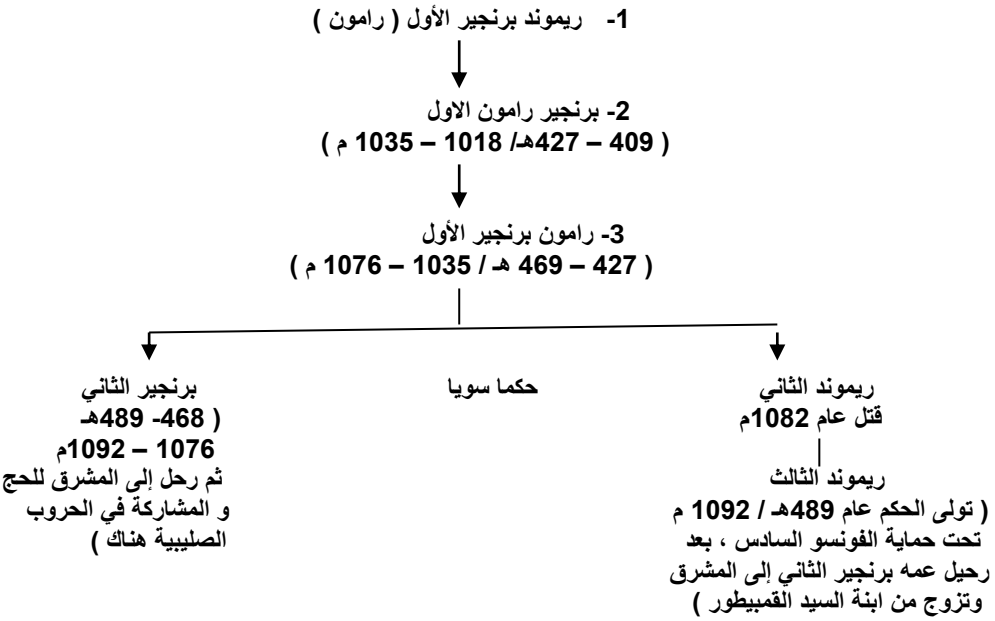
جدول رقم 4

أمراء قشتـــــــــــالة



جدول رقم 5

أمراء برشلونة (قطلونية)



عبد الحليم رجب ، المرجع السابق ، ص 510-512 .

ملحق رقم (2)

دول الطوائف

جدول تاريخي مفصل

دولة بني جهور في قرطبة

أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور 422- 435 هـ / 1031- 1044م.

أبو الوليد محمد جـــهـــور 435 – 457هـ / 1044- 1064م.

عبد الملك بن محمد بن جـــهور 457 – 463هـ / 1064- 1070م.

المعتمد بن عباد يستولي على قرطبة سنة 463هـ/ 1070م

دولة بني عباد في اشبيلية

القاضي محمد بن اسماعيل بن عباد 414- 433هـ / 1023- 1042م.

عباد بن مـــحمد (المعتضد) 433- 461هـ / 1042- 1069م.

محمـــد بن عباد (المعتمد) 461- 484هـ / 1069- 1091م.

اشبيلية تسقط في أيدي المرابطين

دولة بني الأفطس في بطليوس

عبدالله بن محمد بن مسلمة (المنصور) 413- 437 هـ / 1022- 1045م.

محمد بن عبد الله (المظفر) 437- 461هـ / 1045- 1068م.

يحي بن محمـــــد (المنصور) 461- 464هـ / 1068- 1072م.

عمر بن محمد (المتوكل) 464 - 488هـ / 1072- 1094م.

بطليوس تسقط في أيدي المرابطين

دولة بني يحي في لبلة

أبو العباس أحمد بن يحي	414- 434 هـ / 1023- 1042م.
محمد بن يحي عز الدولة	434- 443هـ / 1042- 1051م.
فتح بن خلف ناصر الدولة	443- 445هـ / 1051- 1053م.

دولة بني مزين في باجة وشلب

الحاجب عيسى محمد	// - 432 هـ / // - 1041م.
محمد بن عيسى عميد الدولة	432 - 440هـ / 1041 - 1048م.
عيسى بن مزين (المظفر	440- 445هـ / 1048- 1053 م.
محمد بن عيسى (الناصر)	445- 450هـ / 1053- 1058م.
عيسى بن محمد (المظفر)	450- 455هـ / 1058- 1063م .

شلب تسقط في أيدي المعنمد بن عباد

دولة بني البكري في ولبه و جزيرة شلطيش

عبد العزيز البكري عز الدولة	403- 443هـ / 1012- 1051م .

ولبة و شلطيش تسقطان في يد المعتضد

دولة بني هارون في شنتمرية الغرب

سعيد بـن هـــارون	417 - 433هـ / 1026- 1041م.
محمد بن سعيد (المعتصم)	433- 443هـ / 1041- 1051م.

شنتمرية الغرب تسقط في يد المعتضد

دولة بني ذي النون في طليطلة

اسماعيل بن ذي النون	(الظافر)	427- 435هـ / 1036- 1043م.
يحي بن اسماعيل	(المأمون)	435- 467هـ / 1043- 1075م.
يحي بن اسماعيل بن يحي	(القادر)	467-478هـ / 1075- 1085م.

طليطلة تسقط في يد الفونسو السادس ملك(قشتالة وليون)

دولة بني مناد في غرناطة

زاوي بن زيري	403- 410 / 1013- 1019م.
حبوس بن ماكسن	411- 428هـ / 1020- 1037م.
باديس بن حابوس (المظفر)	428- 465هـ / 1037- 1073م.
عبد الله بن بلكين	465- 483هـ / 1073- 1090م.

المرابطون يستولون على غرناطة

دولة بني برزال في قرمونة

محمد بن عبد الله بن برزال	404- 434هـ / 1013- 1042م.
عزيز بن محمد (المستظهر)	434- 459هـ / 1042- 1067م.

قرمونة تسقط في يد ابن عباد

دولة بني دمر في مورور

نوح بن أبي تزيري الدمري	403- 433هـ / 1013م- 1041م.
محمد بن نوح (عز الدولة)	433- 445هـ / 1041- 1053م.
مناد بن محمد (عماد الدولة)	445 - 458هـ / 1053- 1066م.

مورور تسقط في يد ابن عباد

دولة بني خزرون في أركش

محمد بن خزرون (عماد الدولة) 402- 420هـ / 1011- 1029م.
عبدون بن محمد بن خزرون 420- 445هـ / 1029- 1053م.
محمد بن محمد بن خزرون (القائم) 445- 461هـ / 1053- 1068م.

أركش تسقط في يد ابن عباد

دولة بني يفرن في رندة

هلال بني أبي قرة اليفرني 406- 445هـ / 1015- 1053 م.
باديس بن هلال 445- 449هـ / 1053- 1057م.
ابو نصر فتوح بن هلال 449- 457 هـ / 1057- 1065م.

رندة تسقط في يد ابن عباد

مملكة ألمرية

1- خيران العامري 405- 419هـ / 1014- 1028م.
زهير العامري 419 – 429هـ/ 1028- 1038م.
عبد العزيز المنصور 429- 433هـ / 1038- 1041م.
2- معن بن صمادح 433- 443هـ / 1041- 1051م.
محمد بن معن المعتصم 443- 484هـ / 1051- 1091م.
أحمد بن محمد معز الدولة 484هـ / 1091م

المرابطون يستولون على ألمرية

مملكة مرسية

1- خيران العامري 403- 419 هـ / 1012- 1028م .
زهير العامري 419- 429 هـ / 1028- 1038م .
أبو بكر بن الطاهر 429- 455هـ / 1038- 1063م.

أبو عبد الرحمن بن الطاهر 455 – 471هـ / 1063- 1078م.

المعتمد ابن عباد يستولي على مرسية

2- ابن عمار 471- 473هـ / 1078- 1081م.

ابن رشيق 483- 484هـ / 1081- 1091م.

المرابطون يستولون على مرسية

مملكة دانية والجزائر الشرقية

1- مجاهد العامري (الموفق) 400 - 436هـ / 1009- 1044م.

علي بن مجاهد (إقبال الدولة) 436- 468هـ / 1044- 1076م.

3- المقتدر بن هود صاحب سرقسطة 468- 474هـ / 1076-1081م.

المنذر بن هود 474- 483هـ / 1081- 1091م.

المرابطون يستولون على دانية

مملكة بلنسية

الفتيان مظفر ومبارك 400- 408هـ / 1009-1017م.

لبيب العامري 408- 411هـ / 1017- 1021م.

عبد العزيز (المنصور) 411- 452هـ / 1021- 1061م.

عبد الملك بن عبد العزيز 452- 457هـ / 1061- 1065م.

المأمون بن ذي النون يستولي على بلنسية

نائبه أبو بكر بن عبد العزيز 457 - 478هـ / 1065- 1085م.

عثمان بن أبي بكر 478- 478هـ / 1085- 1085م.

القادر بن ذي النون 478- 485هـ / 1085- 1092م.

القاضي ابن الجحاف 485- 487هـ / 1092- 1094م.

السيد القمبيطوروالقشتاليون 487هـ- 495هـ / 1094- 1102م.

المرابطون يستولون على بلنسية

إمارة شنتمرية الشرق

هذيل بن عبد الملك بن رزين	403- 436هـ / 1012- 1045م.
عبد الملك بن هذيل	436- 496 هـ / 1046- 1103م.
يحي حسام الدولة	496- 497 هـ / 1103- 1104م.

المرابطون يستولون على شنتمرية الشرق

إمارة ألبونت

عبد الله بن قاسم	400- 431هـ / 1009- 1039م.
محمد بن عبد الله (يمن الدولة)	431- 434 هـ / 1039- 1042م.
أحمد بن محمد عز الدولــة	434 - 440 هـ / 1042- 1048م.
عبد الله بن محمد (جناح الدولة)	440- 495هـ / 1048- 1102م.

المرابطون يستولون على ألبونت

مملكة سرقسطة

1- المنذر بن يحي التجيبي	408- 414 هـ / 1017- 1023 م.
يحي بن المنذر (المظفر)	414- 420 هـ / 1023- 1029م.
المنذر بن يحي (معز الدولة)	420- 430 هـ / 1029- 1039م.
2- سليمان بن هود (المستعين)	431- 438 هـ / 1039 – 1046م.
أحمد بن سليمان (المقتدر)	438- 474هـ / 1046- 1081م.
يوسف بن أحمد (المؤتمن)	474- 478هـ / 1081- 1085م.
أحمد بن يوسف (المستعين)	478- 503 هـ / 1085 – 1110م.
عبد الملك بن أحمد (عماد الدولة)	503- // هـ / 1110 - // م .

المرابطون يستولون على سرقسطة

عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص 460 –

ملحق رقم (3)

معاهدة الصداقة والتجارة التي تمت بين ملك غرناطة محمد الفقيه وخايمي الثاني ملك أراغون في ربيع الآخر 701هـ/ فيفري 1301م

كتاب من الأمير عبد الله محمد بن الأحمر إلى سلطان أراغون كند(كونت) برشلونة : بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد رسوله الكريم وعلى أله وصحبه وسلم تسليما .

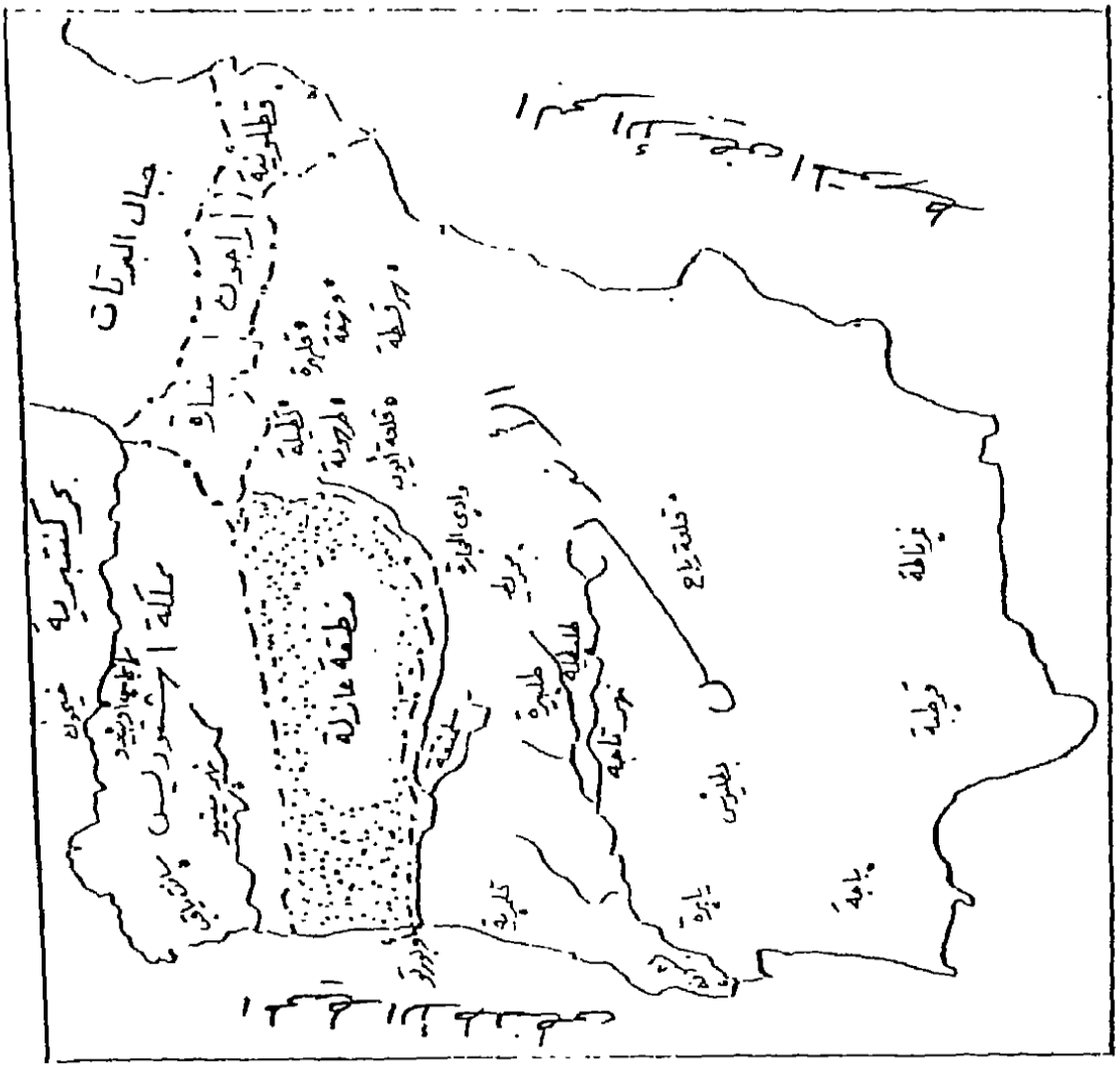
ليعلم كل من يقف على هذا الكتاب ، أن الأمير أبا عبد الله محمد ابن أمير المسلمين أبي عبد الله بن نصر سلطان غرناطة و مالقة و ما إليها و أمير المسلمين . ننعم لكم أيها السلطان المعظم دون جايم ملك أراغون و بلنسية و مرسية و كند برجلونة ، بأن نكون لكم صاحبا وفيا ، و يكون بيننا و بينكم صلح ثابت ، و صحبة صادقة يكون فيها أصحابكم أصحابنا ، و أعداؤكم أهل قشتالة أعداءنا ، و نرفع الضرر و الفساد عن بلادكم و أرضكم من بلادنا و أرضنا ، و لا نجعل سبيلا لأحد من ناسنا لا في البر و لا في البحر عليكم ، و إن اتفق أن صدر لأحد أو لموضع من ناسكم و بلادكم ضرر من أحد ممن يرجع إلى حكمنا ، فنحن ننصف منه بالحق الواجب على أن تكونوا أنتم لنا كذلك صاحبا وفيا ، كما ذكرتم في كتابكم ، و تلتزموا لنا صحبة صادقة ، و صلحا ثابتا ، و تصاحبوا كل صاحب لنا ، و تعادوا كل عدو لنا من المسلمين أو من أهل قشتالة ، و ترفعوا الضرر و الفساد عن بلادنا كلها ، و عن ناسنا في البر و البحر ، و إن اتفق أن يرجع إلى طاعتنا بلد من بلاد العدوة ، أو ناس من أهلها فيكون حكمهم في ذلك سائر بلادنا الأندلسية، و متى صدر عن أحد من ناسكم أو من أهل بلادكم ضرر لأحد من ناسنا أو من أهل بلادنا الأندلسية أو التي تكون من بر العدوة فعليكم أن تنصفوا منه في الوقت و الحين ، كما ذكرتم في كتابكم و كذلك ننعم لكم بأن يصل إلى بلادنا كل من يريد الوصول برسم التجارة من بلادكم ، بما شاءوا من أنواع التجارات ، و يسرح لهم ما أرادوا من ذلك ، و يكونوا مؤمنين في أنفسهم و أموالهم على أن ينصفوا من الحقوق الواجبة على العادة ، و ينصفوا من حقوقهم الواجبة لهم في الدواوين على العادة ، و على أن يكونوا أيضا كل من يتوجه من بلادنا إلى بلادكم من التجار مؤمنين في نفوسهم و أموالهم ، و يسرح لهم في بلادكم ما شاءوا من أنواع المتاجر ، و ينصفوا من الحقوق الواجبة على العادة من غير إحداث زيادة ، و ينصفوا من حقوقهم الواجبة لهم ، كما ذكرتم في كتابكم ، و كذلك ننعم لكم أن نعينكم على أهل قشتالة في نفاقهم معكم ، و إن ذكرتم في كتابكم و كذلك ننعم لكم أن نعيكم على أهل

قشتالة في نفاقهم معكم ، و إن اتفق أن يجيء لكم إلى مرسية صاحب قشتالة الآن ، أو مقدرته (كذا) فنعينكم بما نقدر عليه في ذلك الوقت ، و لا نعمل معهم صلحا و لا مهادنة إلا برأيكم ، و في منفعتنا و منفعتكم ، و على أن تلتزموا أنتم بما نلتزمه نحن من النفاق (الخلاف) عليهم و شن الغارات على أرضهم كلها ، و لا تعملوا معهم صلحا و لا مهادنة إلا برأينا ، و في منفعتكم و منفعتنا حتى تكون الحال واحدة في النفاق و الاتفاق ، و على أن تعينونا أنتم عليهم متى احتجنا إلى إعانتكم بما تقدرون عليه كما ذكرتم في كتابكم ، و كذلك ننعم لكم أنه إن احتجتم إلى إعانتنا في أرض مرسية بفرسان من عندنا أن نعينكم بهم ، على أن يضموا في بلادكم يعطوا المأكول و النفقة من يوم خروجهم من أرضنا إلى يوم رجوعهم إليها ، و كذلك ننعم لكم أنه إن (جملة أكلتها الأرضة) مرسية أن نرده في الحين لكم ، و كل موضع يرجع لكم أنتم من رئاسة قشتالة فلا اعتراض لكم فيه . و كل موضع يرجع لكم أنتم من رئاسة قشتالة فلا اعتراض لنا نحن فيه ، إلا أن يكون من المواضع التي هي لنا و هي طريف (جملة أكلتها الأرضة) و قشتالة ، فان اتفق أن ترجع هذه المواضع أو واحج منها إليكم فعليكم أن تردوها لنا في الحين من غير تطويل و لا مطلب ، و إن اتفق أيضا أن ترجع هذه المواضع أو واحد منها إلى طاعة السلطان دون الفونش و أخيه الانفنت (الولد الثاني) دون فراندة (فرناندو) أن تقفوا معنا في تكميل الشروط التي بيننا و بينهما بشهادتكم عليهما ، و ضمانكم في ردها إلينا في الحين و الوقت من غير تطويل و لا مطلب ، و على أن تمنعوا أهل بلادكم من الدخول بالتجارة إلى اشبيلية و غيرها من بلاد أعدائنا في البر و البحر ، و إن دخل أحد منهم إليهم يكون حكمه حكم الأعداء الذين يكون معهم و أن يكون هذا كله ثابتا ، و تكونون أنتم منه على يقين . أمرنا بكتابة هذا الكتاب و جعلنا عليه خط يدنا و طابعنا ، في أخر ربيع الأخر سنة إحدى و سبعمائة[1] .

[1] – شكيب أرسلان ، الحلل السندسية ، ج2 ، ص 286-289 .

خريطة رقم (1)

قيام مملكة أشتوريس(جليقية) وتطورها



طه عبد المحسن رمضان ، المرجع السابق ، ص 596 .

خريطة رقم(2)

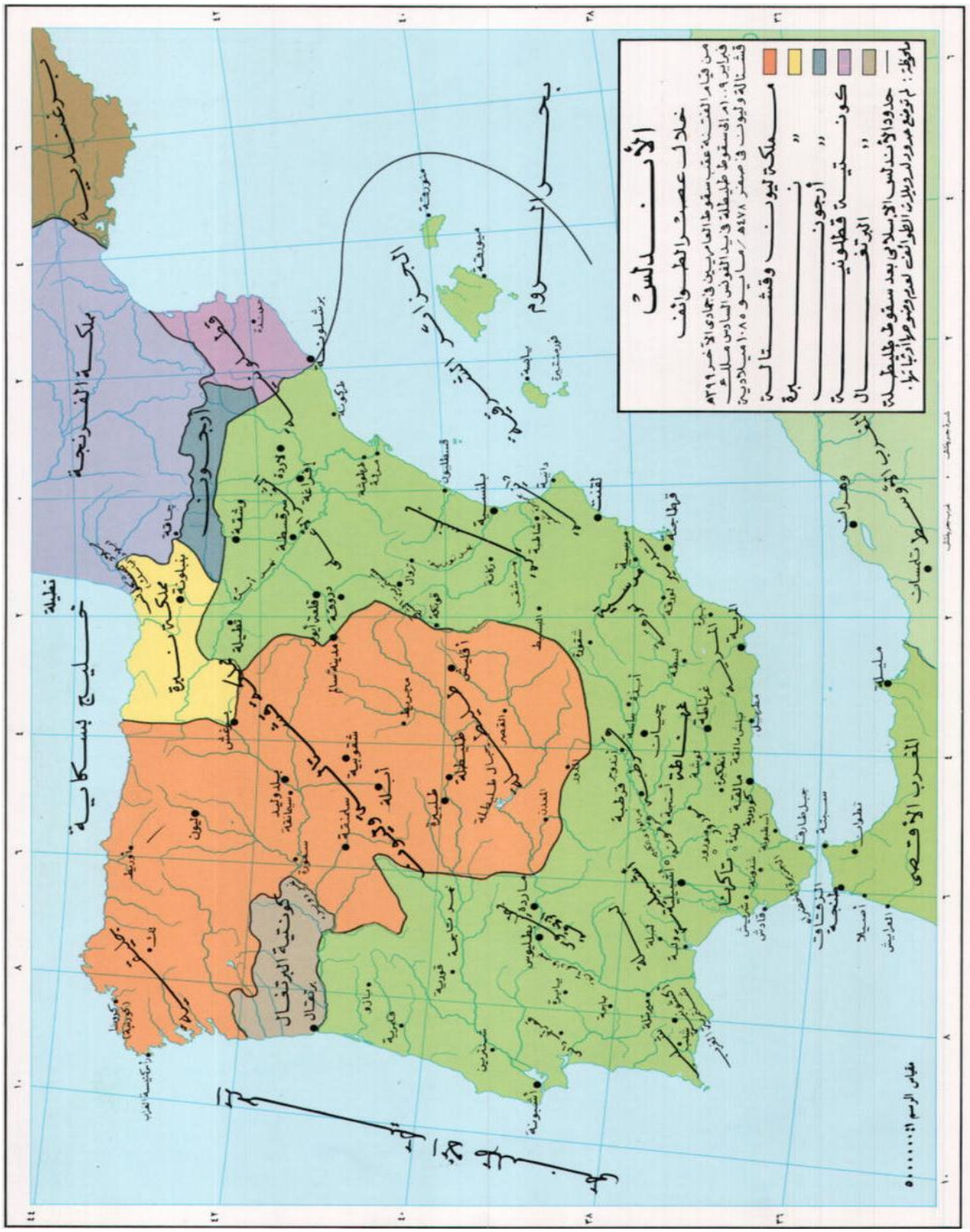
خريطة توضح حدود الدولة الاسلامية في الأندلس خلال عهد الدولة الأموية



حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة 1987م ، ص 172.

خريطة رقم(3)

خريطة توضح توسع حدود الممالك المسيحية بعد سقوط الدولة الأموية(عصر الطوائف)



حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام ، ص17

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

أ– العربية والمعربة

1- ابن الأبار (محمد أبو عبد الله) ت 658 هـ / 1260م

– الحلة السيراء، حققه وعلق عليه حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثانية، 1985م .

2- الإدريسي (الشريف أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز) ت 548هـ / 1154م.

– نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م.

3 – أينهارد (ت 840م)

– سيرة شارلمان، ترجمة وتحقيق عادل زيتون ،دار الإحسان للطباعة والنشر، دمشق،1989م.

4- ابن بسام الشنتريني (أبو الحسن علي) ت 543هـ / 1147م.

– الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان، 1997م.

5- البكري (أبو عبد الله بن عبد العزيز) ت 487هـ / 1094م.

– المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م.

6- ابن عميرة (أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي) ت 658 هـ.

- تاريخ ميورقة، دراسة وتحقيق محمد بن معمر، دار الكتب العلمية، بيروت، 2007.

7- الحميدي (محمد بن أبي نصر) ت 488هـ / 1095م.

– جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966م.

8- الحميري (محمد بن أبي المنعم) ت أواخر القرن التاسع الهجري /الخامس عشر الميلادي.
– الروض المعطار في خبر الأقطار، حققه إحسان عباس، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، 1984م.

9–ابن حيان(أبو مروان حيان)

– المقتبس من رجال أهل الأندلس ، السفر الثاني، حققه وعلق عليه محمود علي مكي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، 2002م.

10- ابن الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد) ت 776هـ / 1374م.
– أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق ليفي بروفنسال، دار المكشوف، لبنان، الطبعة الثانية، 1956م.

– رقم الحلل في نظم الدول، المطبعة العمومية، تونس، 1316هـ.

– اللمحة البدرية في الدولة النصرية، المطبعة السلفية، القاهرة، 1347هـ.

– الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1973.

– نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، ضبطه وعلق عليه الفريد البستاني، مكتبة الثقافة الدينية، الظافر، 2002م.

11- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) ت 808هـ / 1405م.
– تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2000 م.

12- ابن خلكان (شمس الدين أحمد بن محمد) ت 681هـ / 1282م.
– وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، د.س.ط.

13- ابن أبي زرع (أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي) ت 726هـ/ 1325م.

– الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، صور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

– الذخيرة السينية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور، الرباط، 1972م .

14- ابن عبد الظاهر (محي الدين بن أبي الظاهر) ت 692هـ/1292م.

– الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق ونشر عبد العزيز الخويطر، الرياض، 1976م.

15- ابن عذاري (أحمد بن محمد المراكشي) كان حيا عام 712هـ / 1312م.

– البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج س كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، لبنان، 1983م.

– البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، حققه وضبط نصه وعلق عليه بشار عواد معروف، دار الغرب الاسلامي، تونس، 2013م.

16- العذري (أحمد بن عمر بن أنسي) ت 478هـ / 1085م .

– نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد،1965م.

17- أبو الفدا (عماد الدين اسماعيل بن محمد) ت 732هـ / 1331م.

– تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه وطبعه رينود البارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1840م.

18- ابن قنفد (أبو العباس أحمد بن قنفد القسنطيني) ت 810هـ/1408م.

- الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، 1968م.

19- ابن القوطية (محمد بن عمر) ت 367هـ / 977م.

- تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق ابراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الثانية، 1989م.

20- ابن الكردبوس (أبو مروان عبد الملك التورزي) عاش خلال القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي.

- تاريخ الأندلس، تحقيق أحمد المختار العبادي، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية، مدريد، المجلد 13، 1965م.

21- المقري (أحمد بن محمد) ت 1041هـ / 1631م.

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، حققه احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988م.

22- مؤلف مجهول، عاش في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي.

- أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بينهم، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الثانية، 1989م.

23- الوزان(الحسن بن محمد الفاسي)

- وصف افريقيا، ترجمة عن الفرنسية محمد حاجي ومحمد الاخضر، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ظ2، 1983م.

24- ياقوت الحموي (شهاب الدين ياقوت بن عبد الله) ت 626هـ /1331م.

- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م .

ب : المصادر الأجنبية :

1 - **Alfonso el sabio**

- Primera Cronica Général Estoria de España ,T.2 , Publico Por Ramon Menèndez Bidal ,Madrid, 1906.

2 - Cronica De San juan de La Pena , Antonio Ubieto Arteta , Valencia , 1961.

3-Chronicle of the Cid from Spanish,Traduire By Robert Southey London ,1883 .

4- De Mas latrie (M. L)
- Traités De Paix Et De Commerce Avec Les Arabes D'Afrique Septentrionale Au Moyen Age , Paris , 1866.

5- Guillaume(Nagnis)
-Vie De Saint Louis, Librairie de la Société Bibliographie, paris, 1877

6-The Chronicle Of James 1 King Of Aragon , Translated From the Catalan By The Late John Forster Esq , London , 1883.

7- Zurita (Jeronimo)

- Anales De La Corona De Aragon, Inctitucion Fernando El Catolico, Zaragoza .

ثانيا : المراجع

أ: العربية والمعربة

1- أرسلان (شكيب)

- الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997.

- تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط، دار الكتب العلمية، لبنان.

2- أشباخ (يوسف)

- تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، مؤسسة الخانجي، القاهرة ، ط2، 1940م.

3- بروفنسال (ليفي)

- الإسلام في المغرب والأندلس، ترجمة محمد عبد العزيز ومحمد صلاح الدين حلمي مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، القاهرة، 1996م.

- الحضارة العربية في اسبانيا، تر الطاهر احمد مكي، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1994م.

4- بشاري (لطيفة بن عميرة)

- العلاقات التجارية للمغرب الأوسط في عهد إمارة بني عبد الواد من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجريين/13-16م، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011 م.

5- برونشفيك (روبار)

- تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م .

6- عبد الرحمان علي الحجي

- العلاقات الدبلوماسية الأندلسية مع أوربا الغربية خلال المدة الأموية، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2004م.

7- حسين (محمود) ومصطفى (شاكر)

- الحروب الصليبية في شمال إفريقيا وأثرها الحضاري(668-722هـ/1250-1390م)، دار عمان، الأردن، 1998م.

8- دوزي (رينهرت)

- المسلمون في الأندلس، ترجمة وتعليق حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994م.

9- بن الذيب(عيسى)

- المغرب والأندلس في عصر المرابطين دراسة اجتماعية واقتصادية(480-540هـ/1056-1145م)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر،2009م.

10- روزا (مونيكال ماريا)

- الدور العربي في التاريخ الأدبي للقرون الوسطى، ترجمة صالح بن مغيث الغامدي، مطبعة جامعة سعود، السعودية، 1999م.

11 - زيتون (عادل)

- العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، دار دمشق، 1980م.

12- سلام (مجدي ياسين عبد العال)

- العلاقات التجارية بين دولة بني مرين والجمهوريات الايطالية(جنوة، بيزا، البندقية)، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في الآداب، جامعة الزقازيق، 2005م.

13- الشيخ (محمد مرسى)

- دولة الفرنجة وعلاقتها بالأمويين في الأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، الاسكندرية، 1981م.

14-طيبي(أمين توفيق طيبي)

- تاريخ مدينة سبتة، منشورات جمعية الدعوة الاسلامية، ليبيا، 1989م.

15- عاشور(سعيد عبد الفتاح)

- تاريخ أوربا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، 1976م.

- تاريخ أوربا في العصور الوسطى(النظم والحضارة)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1959م.

- الحركة الصليبية، مكتبة الانجلو مصرية، ط9، القاهرة، 2010م.

16- عامر (سامية)

- الصليبيون في شمال افريقيا، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، 2002م.

17- العبادي (أحمد المختار)

- دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، الإسكندرية، 1997م.

18- عبد الحليم (رجب)

- العلاقات بين الأندلس الإسلامية واسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، القاهرة، بيروت، بدون تاريخ.

19- العريني(السيد الباز)

- تاريخ أوربا العصور الوسطى، دار النهضة العربية، لبنان، د .س. ط.

20- عنان (محمد عبد الله)

- الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 4، 1997م.

- دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4،1997م.

- عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس، ق 1، ق 2، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1990م.

- نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 4، 1997 م.

- الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 2، 1990م.

21- عوض(محمد مؤنس)

- الحروب الصليبية ،العلاقات بين الشرق والغرب، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، 2000م.

22- فيرنيت (خوان)

- فضل الأندلس على ثقافة الغرب، نقله عن الاسبانية نهاد رضا، اشبيلية للدراسات والتوزيع، سوريا، 1997م.

23- زكية كربال

- التطور السياسي والحضاري لروسيا من خلال كييف من منتصف القرن التاسع حتى الربع الأول من القرن الثاني عشر الميلادي ، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ ، 2001م.

24- لوبون(غوستاف)

- حضارة العرب، نقله الى العربية عادل زعيتر، دار احياء الكتب، القاهرة، د.س.ط.

25- لودر(دوروثي)

- اسبانيا شعبها وأرضها، ترجمة طارق نورة، مراجعة وتقديم عزالدين فريد، مكتبة الاسكندرية، د.س.ط.

26– ماريا روزا (مونيكال)

- الدور العربي في التاريخ الأدبي للقرون الوسطى، ترجمة صالح بن مغيث الغامدي، مطبعة جامعة سعود، السعودية، 1999م.

27- محمود (منى حسن)

– قاعدة نربونة ودورها في الجهاد ضد الفرنجة والتوسع في أوربا، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 1999م.

28– مزدور(سمية)

- المجاعات والاوبئة في المغرب الاوسط (588-927هـ/1192-1520م)، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الوسيط، جامعة قسنطينة، م

29- مؤنس (حسين)

– فجر الأندلس، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1985م.

– أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، مصر،1987م.

30– الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض ، السعودية ، 1999م.

31- النشار (محمد احمد محمود)

– تأسيس مملكة البرتغال، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 1995م.

32- هونكة(زيغريد)

- شمس الله تشرق على الغرب، ترجمة وتحقيق وتعليق فؤاد حسين علي، دار العلم العربي، القاهرة، ط2، 2011م.

33- وات (مونتغمري)

- في تاريخ اسبانيا النصرانية، ترجمة محمد رضا المصري، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1998م.

34- الحضارة العربية الاسلامية في الأندلس، ترجمة سلمى الخضراء الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998م.

ب: المراجع الأجنبية:

1-Balaguer (Victor)

- Historia De Cataluna Y De La Corona De Aragon , Libroria De Salvador Manero , Barcelona 1860.

2- Brink (Stefan)

- The viking world , Routledge, London, 2008.

3- Dufourcq (Charles Emmanuel)

- L'Espagne Catalane Et Le Maghrib Aux 13 et 14 Siècles, Presses Universitaires De France , Paris , 1966.

4- Knith (Judson)

-Middle Age Almanac , reference library ,London , 2001.

5- **O'Malley (John)**

– A History Of The Popes , Littfield Publishers , Ney York , 2010.

6- Provencal (Levi)

- Histoire De l'Espagne Musulmane , Maisonneuve et Larose , Paris , 1999 .

7- Reinhardt (Dozy)

– Le Cid D'après Des Nouveaux Document .Dans Recherches Sur L'histoire Et La Littérature De l' Espagne Pendant Le Moyen Age , 3 édition , layade , 1881 .

8– The new Cambridge medieval history, Cambridge, 2008.

9– Encyclopedia of World History , New York , 2008 .

10– The middle ages a concise encyclopedia, New York , 1991.

مقـــــدمة 1-3

المحور الأول

علاقة المسلمين بالفرنجة.....**3-10**

أولا: الفتح الاسلامي لبلاد الغال

1- السمح بن مالك الخَولاَني وبداية الفتوحات الاسلامية في بلاد الغال

2 – عَنبسة بن سُحيم الكلبي يصل بالمسلمين الى قلب أوربا

3- معركة بلاط الشهداء واثرها على التوسع الاسلامي في بلاد الغال

ثانيا: انتقال الصراع الاسلامي الفرنجي الى الأندلس ونتائجه

1 – حملة شارلمان على الأندلس واستيلاؤه على برشلونة

المحور الثاني

العلاقات بين المسلمين والممالك النصرانية في عهد الامارة الأموية.....11-18

أولا: قيام الممالك النصرانية

1- مملكة ليون(Leon)

2- مملكة نفار(Navarra)

3- إمارة قطلونية(برشلونة)

ثانيا: العلاقات السياسية والعسكرية بين الطرفين

1 – مع مملكة ليون(جليقية)

2- مع مملكة نفار

3- مع امارة قطلونية(برشلونة)

المحور الثالث

الغزو النورماني لبلاد الأندلس.....19-26

أولا: أصل النورمان وأسباب توسعهم

1- أصلهم

2- أسباب توسعهم

ثانيا: عناصر النورمان

1- النرويجيون
2- السويديون
3- الدانيون (الدانماركيون
1.3 – غارات الدانيين على الإمبراطورية الكارولنجية
ثانيا: حملات النورمان على بلاد الأندلس
1 – الحملة الأولى(230هـ/843م)
2- الحملة الثانية (245هـ/ 860م)
المحور الرابع
العلاقات بين المسلمين والعالم المسيحي في عهد الخلافة الأموية.....27-33
أولا- العلاقات العسكرية
1- مع مملكة ليون
ثانيا: العلاقات الدبلوماسية
1 - خارج شبه الجزيرة الأيبيرية
1.1 - سفارة ملك الفرنجة لويس الرابع.
2.1- سفارة الإمبراطور الألماني أوتو(Otto) العظيم
3.1- سفارة الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع(944- 955م)
2- داخل شبه الجزيرة الأيبيرية
1.2- سفارة أوردونيو الثالث ملك ليون
2.2- سفارة طوطة ملكة نفار
3.2- سفارة أمير قطلونية سنيفرد(Snifred)(911-947م)
المحور الخامس
علاقة الدولة العامرية بالممالك النصرانية.....34-40
1- ظروف تولي محمد بن أبي عامر (المنصور)الحكم

2- علاقة المنصور محمد بن أبي عامر بالممالك النصرانية
1.2- علاقته بمملكة ليون
2.2- علاقته مع مملكة نفار
3.2- علاقته مع إمارة قشتالة
4.2- علاقته بإمارة قطلونية
المحور السادس
ملوك الطوائف وعلاقتهم بالممالك النصرانية.....41-49
أولا: الفتنة البربرية وأثرها في ظهور عصر موك الطوائف
ثانيا: دويلات الطوائف
1 - أشهر ملوك الطوائف من العرب
- بنو عباد اللخميون في اشبيلية
- بنو هود الجذاميون في سرقسطة
- بنو جَهور في قرطبة
2 - أشهر ملوك الطوائف من البربر
- بنو مناد الصنهاجيين في غرناطة
- بنو ذي النون في طليطلة
- دولة بني رزين في شنتمرية الشرق(Albarracin)
3- أشهر ملوك الطوائف من الصقالبة
- خيران العامري في ألمرية (Almeria)
- مجاهد العامري في دانية Denia) والجزر الشرقية
ثالثا: العلاقات السياسية والعسكرية بين ملوك الطوائف والممالك النصرانية
المحور السابع
العلاقات الحضارية بين المسلمين والممالك النصرانية.....50-59
أولا: جسور التواصل الحضاري بين المسلمين والممالك النصرانية
1- اليهود

2- النصارى المعاهدون(Mozarabes)

3- المدجنون(Mudéjares)

4- الزواج المختلط

5- الأسرى والسبايا

ثانيا: مظاهر التأثير الحضاري بين الطرفين

1- في الجانب الاجتماعي

2- في الجانب الثقافي والعلمي

3- في المجال الاقتصادي

المحور الثامن

علاقة المرابطين بالممالك النصرانية.....60-69

أولا: الصراع المرابطي القشتالي

1- معركة الزلاقة تؤجل سقوط الاندلس

2- استرجاع مدينة بلنسية

3- معركة اقليش (Ucles)وهلاك ألفونسو السادس

ثانيا: الصراع المرابطي الأراغوني ونتائجه

المحور التاسع

علاقة الموحدين بالممالك النصرانية.....70-77

1-معركة الأرك ودورها في كبح حركة الاسترداد الاسبانية

2-معركة حصن العقاب وأفول نجم دولة الموحدين

3- سقوط المدن الأندلسية الكبرى

المحور العاشر

علاقة مملكة غرناطة بالممالك النصرانية.....78-86

1- علاقة مملكة غرناطة بمملكة قشتالة

1.1- التحالف المريني الغرناطي ونتائجه

2.1- مملكة غرناطة على شفا المنحدر

2- علاقة مملكة غرناطة بمملكة أراغون

المحور الحادي عشر

العلاقات التجارية بين دول الغرب المسيحي والمغرب الاسلامي(الجمهوريات الايطالية نموذجا).....87-96

1- عوامل تنشيط العلاقات التجارية بين الطرفين

- المعاهدات التجارية

- الأسواق

- الفنادق

- الموانئ والسفن البحرية القنصليات

2- المبادلات التجارية

1.2- الصادرات

- الحبوب والمنتجات الفلاحية

- الأصواف والجلود والشمع ومواد اخرى

- الذهب

- العبيد

2.2- الواردات

3- وسائل التعامل التجاري

- العملة

- المكاييل والموازين

4- العوامل المؤثرة في العلاقات التجارية بين الطرفين

- القرصنة

- الحروب

- الكوارث الطبيعية والأوبئة

الملاحـــق.....**107–97**

الخرائـــط **108– 110**

قائمــة المصادر والمراجع **111–122**

فهــرس الموضوعات **123–128**